الجامعة الأردنّية

نموذج تفويض

أنا أحمد ذياب أحمد عنانزة، أفوّض الجامعة الأردنّية بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسّسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها.

التوقيع:

التاريخ:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسلوب التهكّم في القرآن الكريم

دراسة تحليلية بيانيّة

إعداد
أحمد ذياب أحمد عنانزة

المشرف
الدكتور مصطفى إبراهيم المشني

قدّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلّبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير

كلّيّة الدراسات العليا
الجامعة الأردنيّة

آيار، ٢٠٠٥م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة (أسلوب التهكّم في القرآن الكريم ، دراسة تحليلية بيانية) وأجيزت بتاريخ ١٢ / ٥ / ٢٠٠٥م

أعضاء هيئة المناقشة	التوقيع
الدكتور مصطفى إبراهيم المشني ،مشرفا أستاذ مشارك ــ الشريعة	....
الدكتور أمين المناسية ، عضوا أستاذ مشارك – الشريعة	....
الدكتور محمد خازر المجالي ، عضوا أستاذ مشارك – الشريعة	....
الدكتور سامي عطا ، عضوا أستاذ مساعد – الشريعة (جامعة آل البيت)	....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى من غمرني بحنانه وبإحسانه – وهو المستحق للإحسان - وعلمني كيف تكون الحياة وكيف يكون النجاح، فأحسن الزرع ليجني أفضل الثمر – بإذن ا تعالى - أبي.........

إلى نبع الحنان.. ومنهل الحب والوئام، المربية الفاضلة أمي ....

إلى رمز الألفة والوفاق، شقيقاتي وأشقائي الأعزاء ....

إلى زوجتي ورفيقة دربي ....أم عمر..

إليهم جميعا أهدي باكورة عملي المتواضع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

قال الله تعالى : ((وإذ تأذّن ربّكم لئِن شكرتم لأزيدنّكم ولئِن كفرتم إنّ عذابي لشديد))[1]

من بركة العلم، نسبة القول إلى قائله، ومن مقابلة الإحسان بالإحسان نسبة الفضل إلى أهله ؛ فأتوجّه بجزيل الشكر، وعظيم الامتنان إلى صاحب الفضل عليّ – بعد الله تعالى – الأستاذ الفاضل، المربي القدوة، الدكتور مصطفى المشني – حفظه الله ورعاه – على ما أولاه من عناية ورعاية لهذا البحث، منذ أن كان فكرة إلى أن انتهى إلى هذه الصورة، وعلى ما قدّمه لي من نصائح وتوجيهات منهجيّة أصيلة، أنارت لي الطريق ؛ فكان لها أكبر الأثر في تسوية هذا البحث، وسدّ ثغراته فجزاه الله تعالى كل خير.

كما أتوجّه بوافر الشكر والعرفان إلى الأساتذة الكرام الذين تفضّلوا بقراءة هذه الرسالة ؛ لتنقية شوائبها، وإصلاح خللها، وتشذيبها، وتهذيبها، وإغنائها بملاحظاتهم وتوجيهاتهم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١) سورة إبراهيم : آية رقم (٧).

فهرس المحتويات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسلوب التهكم في القرآن الكريم
دراسة تحليلية بيانية

إعـداد
احمد ذياب احمد حسين عنانزة
المشـرف
الدكتور مصطفى إبراهيم المشني

ملخص

تناولت هذه الرسالة أسلوباً من أساليب الخطاب في القرآن الكريم، وهو أسلوب التهكم، من حيث الدلالات اللغوية، والنشأة الاصطلاحية و البلاغية، والاستعمالات الأدبية والنقدية، إلى جانب الكشف عن ذوق المفسّرين وبعض المحدّثين في التعامل مع هذا الفن، كما عنيت الدراسة بالآيات التي ورد فيها هذا الأسلوب وذلك من وجهين :

أولاً : استقراء معظم الآيات في هذا الاتجاه ومن ثم تحديد الأسباب، والأغراض، والعناصر، والخصائص لهذا الفن، وبيان أثره البلاغي.

ثانياً : بيان أسلوب التهكم في معظم الآيات التي ورد فيها.

وخلصت الدراسة إلى أن التهكم مفهوم ذو دلالات واسعة، وأهداف متعددة، و أهمية كبيرة،دعويّة، وأدبيّة، وبلاغيّة، وأخرى جماليّة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدّمة

الحمد   رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

فإنّ من أشرف العلوم وأجلها علم التفسير ؛ فهو بيان وشرح لكتاب ربّ العالمين –الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد -،على اختلاف موضوعاته وتعددها والتي من جملتها بلاغته وإعجازه البياني، وهذا البحث يتناول أسلوباً من أساليبه البليغة والهادفة إلى إصلاح البشريّة، وهدايتها إلى الطريق المستقيم ؛ من خلال صبّ النقد الموجع على المخالفات العقائديّة، والشرعّية، والأخلاقية، بإيقاع السخرية بها وبمرتكبيها، وبيان سوء عاقبتهم في الدنيا والآخرة، على وجه يظهر به فساد معتقداتهم، وضلال مسالكهم، وتهافت افتراءاتهم وادّعاءاتهم، بما يكون مدخلاً حسناً لإصلاحهم وردّهم عن غيّهم وضلالهم ؛ بإمهالهم ومخاطبتهم بهذا الأسلوب الذي يشبه العقوبة، لكنها ليست عقوبة موجهه إلى البدن، بل إلى النفس ؛ علها تعود إلى فطرتها، وتنقاد إلى باريها ؛ فتأتمر بأمره وتنتهي بنهيه ؛ فتحظى بنعيم الدنيا و الآخرة.

والذي دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع ثلاثة أمور :

أولها : أهميّة هذا الموضوع البلاغيّة والدعويّة والتي تتمثل فيما يأتي :

أولاً :أنه يتناول أسلوباً قرآنيّاً بلاغياً قائما على السخرية، وهي من أخطر الموضوعات وأشدها حساسية في كتاب ا   تعالى.

ثانياً : يبين دور اللغة والبلاغة القرآنيّة في الدعوة إلي ا   تعالى.

ثالثاً : يعبّرعن جمال القرآن في طرح القضايا الكبرى، ومعالجتها بأسلوب أخّاذ ومؤثّر يقوم على الحجة والبرهان.

ثانيها : الميول والرغبة في دراسة القضايا البلاغيّة في القرآن الكريم.

ثالثها : أني أرى أنّ من سبقني في الكتابة في هذا الموضوع لم يستكمله من جميع جوانبه ؛ فسأحاول استكمال النقص والقصور في هذا الموضوع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدراسات السابقة:

لم أقف – في حدود معرفتي – على دراسة متخصّصة مستقلّة في هذا الفنّ، بيد أنّ هناك مؤلفات تعرّضت له ضمن الحديث عن البلاغة، أو علوم القرآن، واقتصر الحديث على تعريفه، والتفريق له عن غيره من الفنون الأخرى، التي قد تلتبس به، وبيان بعض ضروبه، ومن هذه المؤلفات:-

١.بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤).

٢.كتاب الطراز، ليحي بن حمزة العلوي، (ت ٧٤٩).

٣.خزانة الأدب، لابن حجّة الحموي (٨٧٣).

٤.الإتقان للسيوطي (ت ٩١١).

٥.أنوار الربيع في معرفة البديع، لابن معصوم المدني (ت١١٢٠).

وهناك كتاب لعبد الحليم حفني، بعنوان (أسلوب السخرية في القرآن الكريم)، تحدّث فيه عن معنى السخرية، ودواعيها، ومجالاتها، كما تعرّض للأثر النفسي، ووحي الألفاظ، كلّ ذلك بأسلوب فكري، ولم يعنى بالآيات القرآنية التي ورد فيها أسلوب التهكّم إلاّ نادرا.

أمّا هذه الرسالة فقد حاولت أن تكون جامعة بين الأدب، والبلاغة، والتفسير والحديث، مع التركيز على حشد الشواهد القرآنيّة التي ورد فيها أسلوب التهكّم، ومن ثمّ الوقوف عليها بالتحليل والبيان، ممّا يمكن أن يكوّن لدى القارئ تصوّرا واضحا عن هذا المفهوم ووجوه استعمالاته، وهذا ما لم أره في دراسة أخرى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هيكل الخطّة

اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أن أقسّمه إلى : مقدّمة، وثلاثة فصول، وخاتمة على النحو الآتي :

الفصل الأوّل، مفهوم التهكّم.

المبحث الأول : تعريف التهكم.

المطلب الأول : تعريف التهكم في اللغة.

المطلب الثاني : تعريف التهكم في الاصطلاح.

المطلب الثالث : العلاقة بين المعنيين، اللغوي والاصطلاحي.

المبحث الثاني : التهكم في الدراسات البلاغية قديماً وحديثاً.

المطلب الأول : نشأة المصطلح وجذوره البلاغية.

المطلب الثاني : أشهر المؤلفات في هذا الفنّ قديماً وحديثاً.

المبحث الثالث: التهكم عند الأدباء والنقّاد.

المطلب الأول : مفهوم التهكم عند الأدباء والنقّاد، وأنموذج من أبرز ممثليه.

المطلب الثاني: أسباب التهكّم عند الأدباء والنقّاد، وأغراضه.

المطلب الثالث: أبرز مجالات التهكم عند الأدباء والنقّاد.

المطلب الرابع : القيمة الفنّية والأدبية لأسلوب التهكّم.

المبحث الرابع : التهكم عند المفسرين والمحدّثين.

المطلب الأول : مفهوم التهكم عند المفسّرين.

المطلب الثاني : نظرة المفسّرين إلى التهكم من الناحية البلاغية.

المطالب الثالث : عناية المفسّرين بأسلوب التهكم.

المطلب الرابع : لمحة عن التهكم في السنّة النبوية، وفي ذوق المحدّثين.

المبحث الخامس: المصطلحات المتعلقة بالتهكم.

الفصل الثاني : أسلوب التهكم في القرآن الكريم.

المبحث الأول: أسباب التهكم في القرآن الكريم.

المطلب الأول : أسباب تهكّم القرآن بالأعداء.

المطلب الثاني : أسباب تهكّم الأعداء بالقرآن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني : عناصر التهكم في القرآن الكريم.

المطلب الأول :تحديد عناصر التهكّم.

المطلب الثاني :تحليل عناصر التهكّم.

المبحث الثالث : أساليب التهكم وخصائصه في القرآن الكريم.

المطلب الأول : أساليب التهكم.

المطلب الثاني : خصائص أسلوب التهكّم.

المبحث الرابع : أغراض التهكم في القرآن الكريم.

المطلب الأول : الأغراض البلاغيّة.

المطلب الثاني : الأغراض الدعوية.

المبحث الخامس : الأثر البلاغي لأسلوب التهكم في القرآن الكريم.

الفصل الثالث : الدراسة التطبيقيّة.

التمهيد.

تحليل أسلوب التهكم في أغلب مواطن وروده في القرآن الكريم.

الخاتمة : حيث أجملت فيها خلاصة ما توصّلت إليه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منهج البحث

اعتمدت في دراستي هذه على المنهجين التاليين :

أولاً :- المنهج الاستقرائي، حيث استقرأت أقوال العلماء، والمؤلّفات في هذا الموضوع، إلى جانب استقراء الآيات التي ورد فيهل أسلوب التهكّم.

ثانياً : - المنهج التحليلي، حيث قمت بتحليل أسلوب التهكم في أغلب مواطن وروده في القرآن الكريم، واستخراج اللطائف والدقائق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول : مفهوم التهكم.

المبحث الأول: تعريف التهكم ودلالاته.

المبحث الثاني: التهكم في الدراسات البلاغية قديما وحديثا.

المبحث الثالث: التهكم عند الأدباء والنقّاد.

المبحث الرابع: التهكم عند المفسّرين والمحدّثين.

المبحث الخامس : المصطلحات المتعلّقة بالتهكّم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأوّل : تعريف التهكّم ودلالاته، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: تعريف التهكم في اللغة، ودلالاته.

المطلب الثاني : تعريف التهكّم في الاصطلاح.

المطلب الثالث : المناسبة بين المعنى الاصطلاحي وبين الدلالات اللغوية للتهكم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً: معنى التهكم في اللغة ودلالاته.

ورد في لسان العرب تحت باب هكم[(١)]: الهَكِمُ: المقتحم على ما لا يعنيه، الذي يتعرض للناس بشرّه، وتهكّم على الأمر وتهكّم بنا : زرى علينا وعبث بنا، وتهكّم له وهكّمه :غنّاه، والتهكّم: التكبّر، والمُستهكم : المُستكبر، والمُتهكّم : المُتكبّر، وهو أيضا الذي يتهدم عليك من الغيض والحنق، وتهدم عليه إذا اشتدّ غضبه، والتهكم: التبختر بطرا، والتهكّم :السيل الذي لا يطاق، وتهكّمت البئر: تهدّمت، والتهكّم: الطعن المُتدارك، وتهكّمت تغنيت، وهكّمت غيري تهكيما : غنّيته وذلك إذا انبريت تغني له بصوت.

والتهكّم: الاستهزاء، وفي حديث أسامة : (... فخرجت في إثر رجلٍ منهم يتهكم بي)[(٢)] أي: يستهزئ بي ويستخفّ.

وفي حديث عبد ا بن أبى حدرد وهو يمشي القهقرى ويقول: (هلمّ إلي الجنّة يتهكم بنا)[(٣)].

والتهكم : الوقوع في القوم.

كما ورد التهكم بمعنى : حديث النفس، والتندم على الأمر بعدما يفوتك[(٤)].

وبالنظر في هذه المعاني، نلاحظ أن مفهوم التهكم في اللغة يتّسع لأكثر من معنى، فهو يَصْدُق على الازدراء،والتكبّر، والتبختر، والغيظ، والغضب، والطعن، والتهدّم، والتدخّل فيما لا يعني، والاعتداء على الغير...كما يحمل معنى الاستهزاء -أعني السخرية -.

---

(١) ابن منظور،محمد بن مكرم المصري، ت ٧١١ هـ، لسان العرب، ط١ دار صادر، بيروت، باب هكم (٦، ٣٤٤/٣٤٥)، وينظر : الفراهيدي، الخليل بن احمد، ت ١٧٥هـ، كتاب العين، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، باب هكم (ص ١٠١٦). وينظر: الأزهري، أبو منصور، ت ٣٧٠هـ، معجم تهذيب اللغة، ط١، تحقيق زكي قاسم، دارالمعرفة، بيروت ١٤٢٢هـ، باب هكم (٤/ ٣٧٧٦).

(٢) ابن الأثير، المبارك بن محمد، ت ٦٠٦هـ، النهاية في غريب الحيث والأثر، مراجعة : طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، بيروت ١٣٩٩هـ (٥/ ٢٧٨) و الحلبي، علي برهان الدين ت١٠٤٤هـ، السيرة الحلبية، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ (٣ / ١٩٧).

(٣) ابن الأثير: نفس الكتاب (٥/ ٢٦٨).

(٤) الصاحب، إسماعيل بن عبّاد ت٣٨٥هـ، المحيط في اللغة،ط١، تحقيق الشيخ محمد حسين آل ياسين، عالم الكتب، ١٤١٤هـ، (٣ /٣٦٤).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه جملة من المعاني، الجامع لها هو : الانزعاج وعدم الرضى ؛ ممّا يدعو إلى الخروج عن المألوف في الطباع والسلوكيّات، إذ أنّ الاستهزاء أو الغيظ أو التكبّر ... كلّها أحوال يخرج بها الإنسان عن وضعه الذي ينبغي أن يكون عليه، من البقاء في دائرة الإنسانية ؛ الأمر الذي يستدعي الانتباه والتيقّظ، ثمّ التحقيق في كلّ حالٍ من هذه الأحوال.

ومع أنّ التهكم قد ورد بكل هذه المعاني المتقدمة، إلاّ أنّ أكثرها شيوعا واستعمالاً هو معنى الاستهزاء، -وهو الذي يتفق مع المعنى الاصطلاحي كما سنرى – إن شاء ا - والى هذا مال صاحب أنوار الربيع فقال:"وفي كونه منقولاً من التهدم - كما قال بعضهم – [١] أو الغضب – كما قال آخرون – نظراً ؛ لأنّه قد ورد التهكم بمعنى الاستهزاء في اللغة[٢] فأيّ داعٍ إلى كونه منقولاً من معنى آخر؟"[٣].

وعليه؛ فإنّ أظهر معاني التهكم وأشهرها الاستهزاء[٤]، وهو لفظ عام يدخل تحته الكثير من الأساليب والصور المختلفة كما سنرى - إن شاء ا -.

---

(١) قال بذلك ابن الناظم، بدر الدين بن مالك ت ٦٨٦ هـ، في كتاب المصباح في المعاني والبيان والبديع، ط١، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢هـ، (ص ٢٤٢)، وابن حجّة الحموي، ت ٨٣٧هـ، في خزانة الأدب، ط١، دراسة وتحقيق الدكتورة كوكب دياب، دارصادر، بيروت ١٤٢١هـ،(١٩١/٢)،

(٢) ينظر: الزمخشري، محمود بن عمر ت ٥٣٨هـ، أساس البلاغة، مكتبة ناشرون ١٩٩٦م، (ص ٥٠٤) وابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢١٤/٤) سبق ذكره.

(٣)- المدني، ابن معصوم، ت ١١٢٠هـ، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق شاكر هادي (١٨٥/٢).

(٤) ينظر : شاكر عبد الحميد: الفكاهة والضحك "رؤية جديدة "، ١٣٢٣هـ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة، (ص ٤١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التهكم في الاصطلاح:

هو كل كلام أخرج على ضدّ مقتضى الحال[1]، استهزاءً بالمخاطب[2].

وسيأتي تفصيل هذا تحت مبحث الدراسات البلاغية، على اعتبار أنّه مفهوم بلاغي.

المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للتهكّم.

تبدو العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للتهكّم واضحة وذلك من وجهين:

الوجه الأول: أنّ حاصل المعنى في اللغة الاستهزاء، وكذا في الاصطلاح ؛ فإنّ الضابط له الاستهزاء.

الوجه الثاني: في كلا المعنيين - اللغوي والاصطلاحي- خروج عن الأصل، ومخالفة لمقتضى الحال.

ومع هذا الاتفاق، فإن المعنى اللغوي يبقى أعمّ وأشمل ؛ ضرورة أنّه يشتمل على كلّ صورة أو أسلوب من أساليب التعبير التي تهدف إلى الاستهزاء بالمخاطب، وإيقاع السخرية به أيا كان.

وعليه ؛ فإن بينهما عموماً وخصوصاً،فهو في الاصطلاح أخصّ منه في اللغة[3].

---

(١) مقتضى الحال: أي أن يكون الكلام مطابقا للحال التي يتحدث عنها، ومناسبا للموقف الذي يتحدّث عنه، ينظر : احمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، المجمع العلمي العراقي، (٣/ ٢٩٦).

(٢) العلوي، يحي بن حمزة، ت ٧٤٩هـ، كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف بمصر، ١٣٣٢هـ (٣/ ١٦٣).

(٣) احمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية، (٢/ ٣٧٥) مرجع سابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: التهكم في الدراسات البلاغية قديما وحديثا،وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ظهور هذا المصطلح ونشأته.

المطلب الثاني: أشهر المؤلفات في هذا الفنّ قديما وحديثا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا :تاريخ ظهور المصطلح وجذوره البلاغيّة.

تشير المراجع إلى أنّ أوّل من أدخل هذا المصطلح في البديع وعقد له بابا منفصلا هو: زكيّ الدين ابن أبي الإصبع المصري (٦٥٤هـ)، في كتابه المشهور (تحرير التحبير) وذكر انّه من مخترعاته[١].

وقد وقفت على هذا الكتاب فألفيت صاحبه يقول :"وقد عنّ لي استنباط أبواب تزيد بها الفوائد ويكثر بها الإمتاع - نسجا على منوال من تقدمني، ونسجا على منوال من سبقني - ففتح عليّ من ذلك بثلاثين بابا سليمة من التداخل والتوارد،ولم أسبق في غلبة ظنّي إلى شيء منها، اللهمّ إلا أن يوجد في زوايا الكتب التي لم أقف على شيء ممّا اخترعته، فأكون أنا ومن سبقني إليه متواردين عليه وما أظنّ ذلك والله أعلم"[٢].

فأورد من ضمن هذه الأبواب (التهكم).

وكلامه حق إذا أريد به أنه أول من عقد بابا للتهكم، وفرّق بينه وبين الهزل الذي يراد به الجدّ[٣] ؛ ذلك لأنّ هذا المصطلح كان مطروقاً من قبل في كتب التفسير وكتب البلاغة.

فقديماً، أشار إليه الفرّاء (٢٠٧هـ) – رحمه الله – وإن لم يصرّح بلفظ التهكّم، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى ((إذ تصعدون ولا تلوُن على أحدٍ والرسولُ يدعوكم في أُخراكم فأثابكم غمّا بغم ...))[٤] قال: " الإثابة هنا بمعنى العقاب، وقد تقول للذي اجترم إليك : لئن أتيتني لأُثيبنّك، معناه : لأُعاقبنّك، وربّما أنكره من لا يعرف مذاهب العربيّة، وقد قال الله تعالى : ((فبشّرهم

---

(١) ينظر: ابن حجة :خزانة الأدب (٢ / ١٩٤)، و السيوطي، جلال الدين ت ٩١١هـ، شرح عقود الجمان، وبهامشه شرح الشيخ احمد الدمنهوري، دار إحياء الكتب العربية، (ص ١٣٠)، وأحمد مطلوب : معجم مصطلحات النقد العربي القديم،٢٠٠١م، ناشرون، مكتبة لبنان، (ص ١٩١).

(٢) المصري، ابن أبي الإصبع، ت ٦٥٤هـ، تحرير التحبيرفي صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق وتقديم الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة دار إحيا التراث الإسلامي، ١٣٨٣هـ، (ص ٩٤).

(٣) ينظر: نفس المرجع (ص ٥٧٠).

(٤) _ سورة آل عمران : آية رقم (١٥٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعذاب أليم))[١] والبشارة إنّما تكون في الخير، فقد قيل ذلك في الشرّ "[٢]، فلاحظ الفرّاء - رحمه ا – أنّ الحديث في هذين الشاهدين جاء بضد ما ذكر ؛ فالإثابة جاءت بمعنى العقاب، وهو نقيض ما ذكر، كما أن البشارة وردت في الشرّ ومحلها الخير، وهذا على خلاف الظاهر

والى مثل هذا أشار الإمام عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) – رحمه ا – في (أسرار البلاغة) أثناء حديثه عن أخذ الشبه من المعقول للمعقول، فتكلّم عن استعارة الميّت للحي، وممّا قاله في هذا المجال : " كلّ صفتين تضادتا، ثمّ أريد نقص الفاضلة منهما، عبّر عن نقصها باسم ضدّها "[٣]، وهذا الكلام يشير إلى ما يسمّى بالاستعارة التهكميّة التي عرفت من بعد كما سنرى – إن شاء ا -.

وأمّا الزمخشري(٥٢٨هـ) – رحمه ا – فقد تعرّض للتهكّم في كشّافه في أكثر من موطن، من ذلك، قوله عند تفسيره لقوله تعالى : ((وقالوا يا أيّها الذي نُزّل عليه الذكر إنّك لمجنون))[٤] قال: " وكأنّ هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء، كما قال فرعون : ((إنّ رسولكم الذي أُرسل إليكم لمجنون))[٥] وكيف يقرّون بنزول الذكر عليه، وينسبونه إلى الجنون؟!، والتعكيس في كلامهم للاستهزاء، والتهكّم مذهبٌ واسع، وقد جاء في كتاب ا في مواضع منها ((فبشّرهم بعذاب أليم))[٦][٧].

ولمّا جاء السكّاكي(٦٢٦هـ) – رحمه ا – وقُعّدت علوم البلاغة على يديه وبُوّبت، تعرّض للتهكّم تحت مبحث من مباحث الاستعارة، تحت عنوان (الاستعارة التهكميّة)[٨]،ومعناها عنده:"هي استعارة اسم أحد الضدّين أو النقيضين للآخر بواسطة انتزاع شبه التضاد وإلحاقه

---

(١) -سورة آل عمران: آية رقم (٢١).

(٢) الفرّاء، يحي أبو زكريا، ت ٢٠٧هـ، معاني القرآن، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٥٥م، (١/ ٢٣٩).

(٣) الجرجاني، عبد القاهر، ت ٤٧١ هـ، أسرار البلاغة، ط١، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلميّة، ١٤٢٢هـ (ص ٦٢).

(٤) سورة الحجر : آية رقم (٦).

(٥) سورة الشعراء : آية رقم (٢٧).

(٦) سورة آل عمران : آية رقم (٢١).

(٧) الزمخشري : الكشاف (٣ / ٣٩٨) وينظر : أسرار البلاغة (٥٠٤).

(٨) ينظر : أحمد موسى : الصبغ البديعي في اللغة العربية،١٩٦٩م، دار الكتاب العربي، (ص ٢٩٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بشبه التناسب بطريق التهكم أ و التمليح، ثمّ ادّعاء أحدهما من جنس الآخر والإفراد بالذكر ونصب القرينة،كقولك: فلانٌ تواترت البشارات بقتله، ونهبِ أمواله وسبي، أولاده"[(١)].

ومثلها الاستعارة التمليحيّة وكلاهما من العنادية،وقد جمع بينهما المدني وهما ما استعمل في ضدّ أو نقيض[(٢)].

وإن كان بينهما فرق من حيث الغرض منهما؛ فإن كان الغرض الحامل على استعمال اللفظ في ضدّ معناه ؛ الهزء والسخرية بالمقول فيه ؛ كانت تهكميّة، وإن كان الغرض الحامل على ذلك بسط السامع وإزالة السآمة عنه ؛ بواسطة الإتيان بشيء مستظرف كانت تمليحيّة[(٣)].

وأيّا كان فإنّ الاستعارة التهكميّة تتفق مع مفهوم التهكم الذي يدل على استعمال الشيء في ضدّه أو نقيضه،فإنّ استعمال البشارة في موضع الإنذار مع أنّهما متضادان وتنزيلهما منزلة التناسب عائد إلى الاستعارة في الأصل ؛ إذ هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة[(٤)]، فاستعيرت لفظة البشارة ومحلّها الوعد بالخير، ووضعت في موضع الإنذار والوعيد، مع أنّه ليس محلّها في الأصل للوصول إلى هذا الغرض وهو التهكم.

ولمّا كان التهكم راجعاً إلى الاستعارة في الأصل، أو يُعدّ وظيفة من وظائفها – كما قرّر بعض المتأخرين-[(٥)]، أو راجعاً إلى المجاز المرسل كما يرى البعض[(٦)]، فليس للمصري أسبقيّة في هذا الفن إلاّ من جهة التبويب والتصنيف، فعرّفه بأنّه : "الإتيان بلفظ البشارة في موضع

---

(١) السكّاكي، يوسف بن أبي بكر، ت ٦٢٦هـ : مفتاح العلوم، ط١، ضبط نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ (ص ٣٧٥).

(٢) ابن معصوم المدني: أنوار الربيع (١ / ٢٤٧).

(٣) ينظر: الدسوقي، محمد بن عرفة، ت ١٢٣٠هـ، حاشيته الدسوقي على مختصرالسعد التفتازاني، تحقيق الدكتور خليل ابراهيم خليل، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م (٣/ ٣٦٩)، و أحمد مصطفى التونسي، ت ١١٦٧هـ جامع العبارات في تحقيق الاستعارات، ط١، دراسة وتحقيق الدكتور محمد رمضان، الدار الجماهرية، ١٩٨٦م، (١ /٢٧٧).

(٤) الرمّاني، علي بن عيسى، ت ٣٨٦هـ، النكت في إعجاز القرآن الكريم، ضمن ثلاث رسائل، ط٢، تحقيق وتعليق :محمد خاف ا ، ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ١٣٧٨هـ (ص٨٥).

(٥) ينظر:د. حوّاس برّي : المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير،٢٠٠٢م، ط١ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس، الأردن (ص ٢٧٢).

(٦) أشار إلى هذا المعنى ابن جنّي،أبو الفتح عثمان، ت ٣٩٢هـ، في كتاب المحتسب، تحقيق : علي النجدي، و د. عبد الفتاح اسماعيل، القاهرة، ١٣٨٦، (١ /١٠١) فقال تعليقا على قوله تعالى ((إنّك أنت العزيز الكريم)) الدخان (٤٩) : إنمّا هو في النّار الذليل المهان، لكنّه خوطب بما كان يخاطب به في الدنيا، وفيه مع هذا ضرب من التبكيت له والإذكار بسوء حاله.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النذارة، والوعد في مكان الوعيد ؛ تهاونا من القائل بالمقول له، واستهزاء به"[١]،وفرّق بينه وبين الهزل الذي يراد به الجدّ[٢]، بعد أن جعله فنّاً من فنون البديع، داخلاً في المحسّنات المعنويّة،وذلك بعد أن استقرّت المصطلحات على يد السكّاكي؛ بتقسيم علوم البلاغة إلى ثلاثة أقسام : قسم سمّاه المعاني، وقسم سمّاه البيان، وقسمّ ثالث سمّاه وجوها مخصوصة يصار إليها لقصد تحسين الكلام، ثمّ جعل الأخير على قسمين : قسم يرجع إلى المعنى، وقسم يرجع إلى اللفظ[٣]، وهو ما أطلق عليه من بعده (علم البديع)[٤]، بعد أن كان يراد به فنون البلاغة المختلفة، ويرد مرادفاً للفصاحة والبلاغة والبيان، فعند الجرجاني،عبد القاهر : هو فنون البلاغة المختلفة كالاستعارة، والتشبيه، والتمثيل،... وغيرها[٥]، وعند العسكريّ : هو مختلف الصور البيانية كالاستعارة،والمجاز، والمطابقة، والتجنيس....

وكل من جاء بعد المصري ممّن تعرّضوا لمفهوم التهكم فهم عيال عليه؛ إذ أنّ كلامهم في تعريف التهكم وأمثلته، والتفرقة بينه وبين غيره، لا يخرج عمّا ذكره [٦]، وإن كان لبعضهم زيادات في تعريفه، أو بيان أساليبه.

---

(١) المصري، بديع القرآن، تقديم وتحقيق : حفني محمد شرف، نهضة مصر، (ص ٢٨٣).

(٢) ينظر : نفس المرجع (ص ٢٨٤).

(٣) ينظر السكّاكي : مفتاح العلوم (٤٢٣).

(٤) ينظر : ابن مالك: كتاب المصباح (ص ١٩٢، ٢١٨،٢٤٢)، والقزويني الخطيب، جلال الدين بن محمد، ت ٧٣٩هـ، الإيضاح في علوم البلاغة،شرح وتعليق وتحقيق : د. عبد المنعم خفاجي، د. عبد العزيز شرف، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني ١٤٢٠هـ، (ص١٩٢) حيث فصل البديع عن البلاغة فصلا تامّا وعرّفه بأنه: وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته، وينظر : عبد القادر حسين : فنّ البديع، ١٤٠٣ هـ، ط١، كلية البنات، دار الشروق، (ص ٤٢-٤٣).

(٥) ينظر: أحمد مطلوب : فنون بلاغية، ١٣٩٥هـ نط١، دار البحوث العلمية، (٢٠٠-٢٠٣)، و بسيوني فيّود :علم البديع دراسة تاريخيّة، ١٤١٨ هـ، ط٢، مؤسسة المختار، دار المعالم للثقافة، (ص٨).

(٦) احمد مطلوب: معجم مصطلحات النقد العربي القديم (ص ١٩١) سبق ذكره.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا: أشهر الكتب التي تعرّضت للتهكم قديماً حديثاً.

بعد أن أصبح التهكم فنّا قائماً بذاته على يد المصري في كتابيه (تحرير التحبير) و(بديع القرآن)، تناوله الكثير من العلماء في مؤلفاتهم ؛ أثناء حديثهم عن الإعجاز، أو البديع، أو فنون البلاغة المختلفة، أو فيما يتّصل بعلوم القرآن الكريم.

ولعلّ في ذلك إشارة واضحة إلى أهمية هذا الأسلوب القرآني، ومكانته في طرائق الكلام، والتعبير عن المعاني المرادة.

* فممّن تعرّض له قديماً: بدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦)في كتابه (المصباح في المعاني والبيان والبديع) فبعد أن لخّص القسم الثالث من كتاب المفتاح للسكاكي؛ أطلق عليه مصطلح (البديع)، وقسّمه إلى ثلاثة أقسام : قسم يرجع إلى الفصاحة اللفظيّة، وقسم يرجع إلى الفصاحة اللفظيّة ويختصّ بإفهام المعنى، وقسم يختصّ بالفصاحة المتعلقة بتحسين الكلام وتزيينهِ، وذكرَ التهكم تحت القسم الثاني، فعرّفه وبيّن بعض أساليبه واستشهد له بقول ابن الذروي في ابن أبي حُصَيْنَة:

لا تظنّنَ حَدَبَةَ الظهْر عيباً	**هي في الحُسن من صفات الهلال**
وكذاك القسي مُحدَودباتٍ	وهي أَنْكى مِنَ الظُبا والعــ ــوالي[1].

فابن مالك جعله فنّاً بديعياً منفرداً مندرجاً في المحسّنات المعنويّة.

* ثمّ جاء ابن حمزة العلوي (ت٧٤٩) فذكره في كتابه (الطراز) فعرّفه على نحو ما عرّفه ابن مالك، وبيّن الفائدة منه، ولم يجعل حديثه حديثاً عامّاً تتداخل فيه مسائل هذا الفن وأنواعه، بل حاول حصر أشكاله في خمسة أوجه:

الوجه الأول: أن يكون واردا على جهة الوعد بلفظ الوعيد.

الوجه الثاني: أن تورد صفات المدح والمقصود بها الذمّ.

الوجه الثالث: ما كان دالاً على القلّة والغرض التكثير، واستشهد له بقوله تعالى:((قد يعلم ا المعوّقين منكم ...))[2] وقوله تعالى: ((قد يعلم ما أنتم عليه))[3] وقوله تعالى ((قد نعلم إنّه

---

(١) ينظر : ابن مالك : المصباح (ص ٢١٨).

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (١٨).

(٣) سورة النور: آية رقم(٦٤).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليحزنك الذي يقولون ...))[1] وقوله تعالى :((رُبَما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين))[2] وهذه الآية الأخيرة، جعلها نوعا منفصلا سمّاه : ما ورد على وجه التقليل والشكّ والمراد التكثير والتحقيق، مع أنهما بنفس المعنى، فلا داعي لجعله وجهاً منفصلاً.

الوجه الرابع : قوله تعالى حكاية عن قوم شعيب عليه السلام((إنّك لأنت الحليم الرشيد)) [3] فلم يخرجوه على جهة استحقاقه للمدح بهاتين الصفتين مع كونه أهلا لهما، وإنّما أخرجوه مخرج الاستهزاء [٤].

ويلاحظ أن هذا الوجه يدخل في الوجه الثاني، وليس وجهاً منفصلاً.

* ثمّ جاء شهاب الدين الرعيني (ت٧٧٩) فتعرّض للتهكم في كتابه (طراز الحلّة وشفاء الغلّة) تحت باب إجراء الهزل مجرى الجدّ، فبيّن الفرق بين هذين الفنّين، لكنه لم يفرد للتهكم باباً خاصّاً[5].

* ولمّا ألّف الزركشي (ت٧٩٤) كتابه المشهور (البرهان في علوم القرآن) ذكر التهكم في حديثه عن أنواع الخطاب القرآني، فعرّفه واستشهد له من كتاب ا تعالى([٦]).

* ثمّ جاء ابن حَجّة الحموي(ت٨٣٧) فنظمه في بديعيّته فقال:

ذلّ العذول بهم وجدا فقات تهكّماً: أنت ذو عز وذو شمم.

ثمّ بيّن الحموي علوّ منزلة هذا الفنّ وصعوبة مسلكه لكثرة التباسه بالهجاء في معرض المدح، والهزل الذي يراد به الجدّ، وبيّن معناه في الاصطلاح على نحو ما قال المصري،

---

(١) سورة الأنعام:آية رقم(٣٣).

(٢) سورة الحجر آية رقم (٢)

(٣) سورة هود آية رقم (٨٧).

(٤) ينظر : العلوي : كتاب الطراز: (٣ | ١٦٢-١٦٤) سبق ذكره، وينظر : منيرة فاعور،(١٤٢٠) البحث البلاغي عند العلوي، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة دمشق، (ص٦٥٦) فما بعدها.

(5) ينظر: الرعيني، شهاب الدين، ت ٧٧٩هـ، طراز الحلّة وشفاء الغلّة، تحقيق د. رجاء السيد الجوهري، مؤسسة الثقافة الجامعية (ص ٦١٤).

(٦) ينظر : الزركشي،بدر الدين، ت ٧٩٤هـ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ (٢ /٢٣١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستشهد له من القرآن الكريم، والسنّة النبويّة، والشعر، كما أشار إلى أسبقيّة المصري له، وتفريقه بين التهكم وغيره من الفنون الأخرى[١].

* كما ذكره السيوطي (ت٩١١) في كتاب الإتقان، تحت النوع الحادي والخمسين : في وجوه مخاطبات القرآن الكريم قال: الثاني عشر : خطاب التهكم نحو ((ذُقْ إنّك أنت العزيز الكريم))[٢]، وفي كتاب شرح عقود الجمان عدّه نوعا من أنواع البديع، وانه من مخترعات المصري[٣]، كما تحدّث عن الاستعارة التهكميّة وجعلها مع التمليحيّة نوعاً من العناديّة بعد أن عرّف العناديّة بأنها: ما لا يمكن اجتماعها في شيء كاستعارة اسم المعدوم للموجود، واستشهد للتهكميّة بقوله تعالى ((فبشّرهم بعذاب اليم))[٤]،[٥]

* وممّن ذكره من العلماء : ابن البنّاء المرّاكشي العددي، وعبّر عنه بقوله : "ويبدل الذمّ بصورة المدح تمكيناً"، واستشهد بقوله تعالى ((ذُق إنّك أنت العزيز الكريم))[٦]، وهذا الكلام ذكره تحت باب : أقسام اللفظ من جهة مواجهة المعنى نحو الغرض المقصود فقسّمه إلى ثلاثة أقسام : تشبيه شيء بشيء، والخروج من شيء إلى شيء، والقسم الثالث تبديل شيء بشيء وجعل ما ذكر من هذا القسم[٧].

* ثمّ جاء ابن معصوم (ت١١٢٠) فألّف كتاب (أنوار الربيع في أنواع البديع) وذكر من بين هذه الأنواع التهكم، فتحدّث عنه في حدود أربعَ عشرةَ صفحة، كما نظمه في بديعيّته فقال:

تهكماً قلت للواشين لي بِهِم لقد هُديتم لفصل القول والحكمِ.

(١) ينظر: ابن حجّة الحموي : خزانة الأدب (٢ /١٩١-١٩٤).سبق ذكره

(٢) سورة الدخان : آية رقم (٤٩).

(٣) ينظر : جلال الدين السيوطي : شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان (ص ١٣٠) مرجع سابق.

(٤) سورة آل عمران: آية رقم (٢١).

(٥) ينظر : السيوطي : الإتقان في علوم القرآن، ط١، تخريج : محمد أبو صعيليك، تحقيق : عصام الحرستاني، دار الجليل، بيروت ١٤١٩هـ (٢/ ٧٤).

(٦) سورة الدخان : آية رقم (٤٩).

(٧) ينظر: المرّاكشي، ابن البنّاء –لاشتغال والده في البناء -العددي – لاشتغاله في علم الحساب-، أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي، ت (٧٤١أو ٧٤٣هـ) : الروض المريع في صناعة البديع، تحقيق : رضوان بن شقرون، ١٩٨٥م(ص ١٢٠).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورجّح أن يكون معناه في اللغة الاستهزاء، كما بين معناه في الاصطلاح على نحو ما ذكره المصري،ونبه على أنّ أسبقّية المصري إليه،من جهة تصنيفه في أنواع البديع(١).

وفي العصر الحديث فقد تناوله الكثير ممّن كتبوا في البديع خاصّة أو في علوم البلاغة عامّة، فذكروه تحت باب البديع ضمن المحسنات المعنوية، أو أثناء الحديث على أنواع الاستعارة باعتبار طرفيها(٢).

---

(١) ينظر: ابن معصوم المدني : أنوار الربيع (٢/ ١٨٥، ١٨٦، ١٩٤) سبق ذكره.

(٢) ينظر للمثال: حسيب عبد الستّار : منهل البلاغة، ١٩٧١م، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت (ص ٦٨) وعبد القادر حسين: فن البديع (ص٩٩) سبق ذكره، و الخوري بولس سعيد : العقد البديع في فن البديع، ٢٠٠٠م، ط١، تحقيق:د. حسن نور الدين، دار المواسم، (ص ١٠٦).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث: التهكم عند الأدباء والنقّاد، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول :مفهوم التهكم عند الأدباء والنقاد،وأنموذج من أبرز ممثليه.

المطلب الثاني: أسباب التهكم عند الأدباء والنقّاد، والغرض منه.

المطلب الثالث: القيمة الفنّيّة لأسلوب التهكم.

المطلب الرابع : أبرز مجالات التهكم عند الأدباء والنقّاد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً : مفهوم التهكم وأنموذج من أبرز ممثليه.

لدى الاطلاع على مفهوم التهكم عند الأدباء، نجد أنّهم قد تعرّضوا له تحت باب واسع من أبواب الأدب وهو ما يسمّى بالفكاهة، التي تعني في أصلها اللغوي : المزاحُ والتفاكُهْ: التمازح، وفاكهتُ القوم مفاكهةً بملح الكلام والمزاح، وفي المثل (لا تفاكِهْ أَمَهْ ولا تبل على أكَمَهْ). والفَكِه الطّيّب النفس، والفَكِه الذي ينال من أعراض الناس، وفكه من كذا وكذا : تعجّب : ومنه قوله تعالى :((فظلتمْ تفكّهون))[1] أي: تتعجبون ممّا نزل بكم في زرعكم[2]، والفَكِه أيضا البَطِر الأشر[3].

وتمتدّ عند الأدباء لتشمل كلّ أسلوب من أساليب التعبير التي مبعثها إثارة الضحك[4]، على اختلاف الغاية أو الهدف منه، وإن كان ذلك يعد معياراً ضابطاً للتمييز بين مفردات هذا الفن الواسع.

فأحياناً تكون الفكاهة لمجرد اللعب والمرح وإدخال البهجة والسرور، بمعنى إثارة الضحك لمجرد الضحك، فهذا نوع قليل الأذى[5]، ولا يترتب عليه سوى الترويح عن النفس وإذهاب السآمة والملل، ولذلك فقد نسمّيه دُعابةً[6] ومُزاحاً وهزلاً[7]، أو ما يدور في فلك تلك المسمّيات مما ليس فيه أذى للمخاطب.

---

(١) سورة الواقعة: آية رقم (٦٥)٠

(٢) ابن منظور : لسان العرب،مادة فكه (١٣/ ٥٢٣-٥٢٤) سبق ذكره.

(٣) الرازي، محمد بن أبي بكر، ت٧٢١هـ، : مختار الصحاح، طبعة جديدة، تحقيق : محمد خاطر، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ (٢١٣/١).

(٤) ينظر : رياض قزيحة: الفكاهة في الأدب الأندلسي،١٤١٨ هـ، ط١، المكتبة العصرية، (ص١٣٥).

(٥) ينظر: عادل العوا: مواكب التهكم، دار الفضل، دمشق (ص ٧).

(٦) الدعابة والمُداعبة: المُمازحة، ودعب داعبه مداعبه مازحه، ابن منظور : لسان العرب (٣٧٥/١)

(٧) الهَزَلْ : ضد الجد، وهو أن لا يراد باللفظ معناه الحقيقي ولا المجازي، الرازي : مختار الصحاح (٢٩٠/١)، و الجرجاني،علي بن محمد، ت ٨١٦هـ : التعريفات، ط١، تحقيق : ابراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ (ص ٢٧٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأحياناً يقصد من إثارة الضحك النيل من المخاطب وانتقاصه والتعرض له بالشرّ أو التنبيه على عيب فيه، فهذا هو الجانب المُؤلم في الفكاهة، وهو ما يمكن أن نسميه بالسخرية والاستهزاء، أو التهكم، فهي دُعابة، لكنّها دعابة شرّيرة ظاهرها رحمة وباطنها عذاب.

ومن هنا؛ لم أقف على تعريف جامع مانع للتهكم عند الأدباء، إلا أنّ حاصل ما يرونه أن التهكم لون من السخرية، يلبس الجد ثوب الهزل، والهزل ثوب الجدّ، ويلبس المعرفة حلّة التجاهل، ويصبّ الذم في قالب المدح[١]، يراد به نسبة عيب إلى شخص، أو تفخيم عيب فيه؛ وسيلة إلى تهذيبه و إصلاحه[٢].

أنموذج من أعلام هذا الفن.

زخر الأدب العربي بالكثير من المؤلفات التي أثرت الجانب الفكاهي وعنيت بجمع الملح والنوادر وأخبار المتفاكهين، ولعلّ هذا من مميّزات الأدب العربي لا سيّما وأنّ للفكاهة -وخاصّة الفكاهة الساخرة- أثرا عظيما في علاج الأمراض الاجتماعية والنفسية، وتطهير المجتمع من العادات والممارسات السّيئة[٣]، إلى جانب ما يضفيه من الرونق والجمال مما يجعل الكلام أكثر جاذبيّة وأشدّ تأثيرا.

و كان على رأس الأدباء والنقاد الذين اعتنوا بهذا الفن وأحرزوا قدم السبق فيه،الأديب الناقد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥) فهو يمثّل أنموذجا رائعا للأدب الساخر (التهكم) وقد ظهر ذلك جليّا من خلال مؤلّفاته المتعدّدة، مثل كتاب (الحيوان)الذي يقول في مقدّمته : " وهذا كتاب موعظة وتعريف وتفقّه وتنبيه، وأراك قد عبته قبل أن تقف على حدوده وتتفكر في فصوله وتعتبر آخره بأوّله ومصادره بموارده، وقد غلّطك فيه بعض ما رأيت في أثنائه من مزح لم تعرف معناه ومن بطالة لم تتطلع على غورها ولم تدر لما اجتلبت ولا لأي شيء تكلفت وأي شيء أريد بها ولأي جدّ احتمل ذلك الهزل ولأي رياضة تجشّمت تلك البطالة، ولم تدر أنّ المزاح جدّ إذا اجتاب ليكون علّة للجدّ وان البطالة وقار ورزانة إذا تكلفت لتلك العاقبة..."[٤]

---

(١) ينظر: عادل العوا مواكب التهكم (ص ١٢).

(٢) ينظر: الحوفي احمد :الفكاهة في الأدب،٢٠٠١م، نهضة مصر، (٧٢/١).

(٣) ينظر: عبد العزيز شرف الأدب الفكاهي،١٩٩٢م، ط١، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية، (المقدّمة ص هـ).

(٤) الجاحظ، عمرو بن بحر، ت ٢٥٥هـ : كتاب الحيوان، ط١، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي بمصر، ١٣٥٦هـ (٣٧/١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و مثل كتاب (البخلاء) الذي أكثر فيه من ذكر أخبار البخلاء والأشحّاء ونوادرهم وعجائبهم

أمّا المثل الأعلى للتهكم عند الجاحظ فرسالة التربيع والتدوير[١]، التي بعث بها إلى احمد بن عبد الوهّاب، حيث ذكر فيها ألوانا من اللهو، والعبث، والتهكم، بما لا يتهيأ ولا يستقيم إلا لأمثال الجاحظ[٢] ؛ فقد كان استهزاؤه فيه على أساليب فنّية، تخرج بالرجل من باب إلى باب، ومن شكل إلى شكل، حتّى يمزّقه تمزيقا، فيصغّره في عيون النّاس أولا، ثمّ يصغّر هذا الرجل في عين نفسه، فيتمنى لو أن الأرض خسفت به ؛ خوفا من أن تقع عليه عين[٣].

ومناسبة الرسالة هذه أن أحمد بن عبد الوهّاب كان مفرط القصر، ويدّعي أنّه مفرط الطول، وكان جعد الأطراف قصير الأصابع وهو في ذلك يدّعي السّباطة، والرشاقة، وأنّه عتيق الوجه، أخمص البطن، معتدل القامة، تام العظم... [٤].

فسخر الجاحظ منه في هذه الرسالة التي يقول فيها :" قد علمت أنّك لا تحسد على شيء حسدك على حسن القامة، وضخم الهامة، وعلى حور العين، وجودة القدر، وإنّما يَحسد – أبقاك ا – المرءُ شقيقه في النسب، وشفيعه في الصناعة، ونظيره في الجوار، على طارف قدره، أوتالدِ حظّه، أو على كرمٍ في أصل تركيبه ومجاري أعراقه،وأنت تزعم أنّ هذه المعاني خالصة لك، مقصورة عليك، وأنّها لا تليق إلاّ بك، ولا تحسن إلاّ فيك، أو أنّ لك الكل و للناس البعض، وّأن لك الصافي ولهم المشوب، ومن غريب ما أعطيت وبديع ما أوتيت،أننّا لم نر مقدوداً واسع الجفرة غيرك، ولا شقّيا مستفيض الخاصرة سواك، فأنت المديد، وأنت، السبط، وأنت المتقارب، فيا شعرا جمع الأعاريض، ويا شخصا جمع الاستدارة ..."[٥]

وهكذا نلاحظ أنّ الجاحظ قد جعل من الأسلوب الساخر سبيلا للنّقد، وتقويم الاعوجاج الذي وقع فيه المخاطب، وتبديد الوهم الذي عاش فيه ؛ من الشعور بتفوّقه على غيره، وادّعائه ما ليس فيه.

---

(١) رياض قزيحة: الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرقي، ١٤١٨هـ، ط١، تقديم: د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية،صيدا، (ص ٢٩٦).

(٢) اليافي،عبد الكريم: دراسات فنّية في الأدب العربي،١٣٨٢هـ، ط١، (ص ٥٦٤)

(٣) مصطفى بسيوني : ملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري، ١٤٠٥هـ،ط١، عالم الكتب، (ص ٤٣٩).

(٤) الجاحظ : رسالة التربيع والتدوير، المعهد الفرنسي بدمشق، عني بنشره شارل بلّات، ١٩٥٥م (ص١)

(٥) المصدر نفسه (ص ١٠).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعلّ هذا الكلام يقودنا إلى السؤال التالي : ما الأسباب والدوافع التي تجعل الأديب يستخدم الأسلوب التهكّمي في التعبير ؟ هذا ما ستجيب عليه الصفحات الآتية.

ثانيا: أسباب التهكم وأغراضه.

الأصل في الكلام أن يأخذ طابع الجدّ ؛ لأنّه الوضع الطبيعي له، والأليق به، لكن في بعض الأحوال يضطرّ المتكلّم للخروج من دائرة الجدّ إلى الهزل، ومن الحقيقة إلى المجاز، لا رغبة في المخالفة، بل لأنّ المقام يقتضي ذلك، وربّما كان الخروج أنفع وأجدى ؛ وذلك عندما يكون البقاء على الحقيقة قليل النفع، أو لا يؤدي المعنى المطلوب بدقّة.

يقول الجاحظ:" وللضحك موضع وله مقدار، وللمزح موضع وله مقدار، متى جاز أحدهما، وقصّر عنهما أحد ؛ صار الفاضل خطلا، والتقصير نقصا، فالنّاس لم يعيبوا الضحك إلاّ بقدر، ولم يعيبوا المزح إلاّ بقدر، ومتى أريد بالمزح النفع، وبالضحك الشيء الذي جعل له الضحك ؛ صار المزح جدّا والضحك وقارا"[1].

فالأديب عندما يلجأ إلى أسلوب التهكم يدفعه إلى ذلك سبب ما، ومن خلال النظر في هذا الأسلوب عند الأدباء نجد أنّ الباعث عليه أحد الأسباب الآتية:

أولاً : ما يظهر عند البعض من الشذوذ، والمغايرة لواقع الحياة، ومن انتشار الظواهر السلبية التي تجانب التطوّر، وتناهض الحركة نحو المستقبل [2].

ثانياً: عندما لا يكون في القانون ما يوجب عقابا ماديّا على تلك الأخطاء والانحرافات ؛ فيكون التهكم البديل الأمثل للعقوبة.

ثالثاً : أحياناً تكون العيوب التي هي مثار للتهكم في حماية السلطات [3]، فلا سبيل لتقويم اعوجاجها و تصويبها إلاّ الأسلوب الساخر الذي يقوم على إظهار الحقائق المتناقضة والأفكار السلبية في صور تغري بمقاومتها، والرد عليها، وإيقاف مفعولها من غير أن يلجأ إلى الهجوم المباشر[4].

---

(١) الجاحظ: كتاب الحيوان (ص ٧) سبق ذكره.

(٢) الهوّال،حامد عبده: السخرية في أدب المازني،١٩٨٢م، الهيئة المصرية للكتاب، (ص ٣٠).

(٣) -المصدر نفسه (ص٣٤).

(٤) المصدر نفسه (ص٥٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعاً : قد يلجأ الأديب إلى السخرية عندما لا يكون قادرا على إبراز غضبه، فتصبح السخرية ملاذا نفسيا يحقق انفعال الأديب و يستوعب حدّته وثورته [(١)]، فيكون الباعث إرادة الشكوى والتنفيس خاصة إذا فاته شيء وعجز عن تحصيله[(٢)].

خامساً : قد يكون السبب لدى الأديب الرغبة في إظهار التفوق العقلي، أو لإظهار التميّز لدى فحول معاصريه ؛ وذلك عندما لا يقع مع فحول معاصريه بشيء [(٣)]، فيلجأ إلى التهكم لتغطية نقصه أو قصوره.

سادساً: ربّما كان الباعث على ذلك أنّ الشاعر يلتزم مذهباً واحداً يريد أن يعرف به ويجعله عرضةَ ملحه ونوادره[(٤)].

سابعاً : قد يتهكم الأديب بغيره أو حتى بنفسه ؛ رغبة في الفكاهة لا غير، كما في قصّة الجاحظ مع الذباب[(٥)].

وهكذا نلاحظ أنّ أسباب التهكم لدى الأدباء ترتكز على أساسين رئيسين : الأوّل يعود إلى نفسيّة الأديب، والثاني يعود إلى المجتمع الذي يعيش فيه [(٦)]، وما يتخلّله من ثغرات أو شذوذ وانحراف أو خروج عن العادات والتقاليد ممّا يثير حفيظة الأديب ويحرّك نفسه الشفّافة فيسارع

---

(١) عبد الخالق عودة،٢٠٠٣ السخرية في الشعر العبّا سي، رسالة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الأردنية، (ص١٢) .

(٢) ينظر : الحوفي،احمد الفكاهه في الأدب (١/ ١٠٧) سبق ذكره.

(٣) ينظر الرافعي، مصطفى صادق، ت ١٣٥٦هـ : تاريخ آداب العرب، ط٢، دار الكتاب العربي، ١٣٩٤هـ (١٤١/٣).

(٤) نفس المرجع (١٤١/٣).

(٥) يقول الجاحظ: " فأما الذي أصابني من الذبان، فإني خرجت أمشي في (المبارك) أريد دير الربيع، ولم أقدر على دابة، فمررت في عشب أشب، ونبات ملتف كثير الذبان، فسقط ذباب من تلك الذبان على أنفي فطرته، فلم أقدر، فتحول إلى عيني فطرته، فعاد إلى مؤق عيني، فزدت في تحريك يدي، فتنحى عني بقدر شدة حركتي، وذبي عن عيني ...ثم عاد إليّ فعدت إليه، ثم عاد إليّ، فعدت بأشد من ذلك. فلما عاد استعملت كمي، فذبيْت به عن وجهي، ثم عاد. وأنا في ذلك أخب السير أؤمل بسرعتي إنقطاعه عني، فلما عاد نزعت طليساني من عنقي، فذببت به بدل كمي. فلما عاود، ولم أجد له حيلة، استعملت العدو، فعدوت منه شوطا تاما، لم أتكلف مثله مذ كنت صبيا، فتلقاني الأندلسي، فقال : مالم يا أبا عثمان ؟ هل من حادثة ؟ قلت : نعم، أكبر الحوادث، أريد أن أخرج من موضع للذبان، علي فيه سلطان. فضحك حتى جلس ". ينظر: الجاحظ : كتاب الحيوان (٣/ ٣٤٦) بتصرف.

(٦) ينظر : رياض قزيحة : الفكاهة في الأدب الأندلسي (ص ٧٠) سبق ذكره.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى الوقوف في وجه هذه الانحرافات بما يشبه العقوبة، ولكنّها عقوبة لا تخاطب الجسد بل تخاطب النفس والعقل، ولا يخفى أنّ كلم اللسان أنكى من كلم السنان.

أغراض التهكم:

ينظر الأدباء إلى أسلوب التهكم على أنّه وسيلة تطهيرية، وكابح اجتماعي، وأداة عقاب اصطنعها المجتمع لأبنائه حين يسلكون مسلكا غريبا خارجا عن المألوف ؛ فيقوّم اعوجاجهم، ويعالج أمراضهم، ويحملهم على المرونة في نفسيّاتهم وطباعهم وأخلاقهم وأعمالهم(١)، فيقوم بدور الناقد لكل من يخرج على معايير الآداب وقوانين المجتمع، وأساليب سلوكه(٢) ؛فهو وسيلة للوصول إلى الأهداف والغايات – في الإصلاح والتهذيب - لكن بطريقة غير مباشرة.

وأحيانا يكون وسيلة للترويح عن النّفس، وإظهار الغيظ المكتوم(٣)، لا سّيما عندما يتعذّر التصريح بالمراد ؛ خوفا من العقوبة.

وأحيانا يكون الغرض لمجرّد إثارة الضحك، وغالبا ما يكون هذا في تهكم الأديب بنفسه ؛كأن يصورّ نفسه في موقف إحراج، أوضعف أو حيرة، أو غفلة، أوما يشبهها ممّا لا يرضاه الشخص لنفسه(٤) ؛ فلا يتعدى ضرره إلى غيره.

و يعدّ التهكّم بمثابة مرآة صادقة تعكس أحوال المجتمع(٥)، وتعبر عن نفسيّات أفراده.الهدف الأعلى منه هو الرغبة في الإصلاح.

---

(١) ينظر: رياض قزيحة الفكاهة والضحك في التراث المشرقي (ص ٢٩٧)، واحمد الحوفي : الفكاهة في الأدب (١٢/ ٦٦) وعادل العوا : مواكب التهكم (ص٧) وعبد العزيز شرف : الأدب الفكاهي (المقدمة ص هـ، و) وعبد الكريم اليافي: دراسات فنّية في الأدب (ص٥٣٧)، وشاكر عبد الحميد : الفكاهة والضحك رؤية جديدة (ص ٣٩) مراجع سابقة.

(٢) رياض قزيحة : الفكاهة في الأدب الأندلسي (ص٢٣٠).

(٣) الهوّال، حامد عبده: السخرية في أدب المازني (ص٦٣)سبق ذكره.

(٤) ينظر : الحوفي، احمد : الفكاهة في الأدب (١/ ١٠٣).

(٥) ينظر :د. زكريا إبراهيم : سيكولوجية الفكاهة والضحك،مكتبة مصر، دار مصر للطباعة (ص٧٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً : القيمة الفنّية والأدبيّة لأسلوب التهكم.

أشرنا من قبل إلى أنّ التهكم فيه خروج بالألفاظ عمّا وضعت له في الأصل، وفي هذا الخروج قيمة فنّية، إذ أنهّا تعمد إلى إثارة فكر المخاطب ؛ ليستكشف جملة من المعاني والأحوال التي لم تكن تخطر له بالبال[١]، لو بقي الكلام على أصله،أو استخدمت الألفاظ في أماكنها المخصّصة، ممّا يعني تمكين المعنى وترسيخه في نفس المخاطب، وتنبيه ملكاته النفسيّة والعقليّة لتصبح قادرة على فهم واستلهام مدلولات الألفاظ ومغازيها، فيتعلم الذكاء والفطنة ؛ إذ التهكم هو سلاح الأذكياء[٢]، وأداة البلغاء،وهذه فائدة قد لا يمكن تحصيلها لو بقي الكلام على أصله،إذ أنّه يقتصر على معنى واحد هو المعنى الحقيقي.

وهذا الأسلوب ينمّ عن براعة المتكلم، وفطنته، وذوقه الرفيع في القدرة على الصياغة الأدبية، والوصول إلى الأغراض والغايات بطرق ملتوية، الأمر الذي يحتاج إلى قدر كبير من الذكاء، والخبرة الواسعة بالمجتمع، وأحواله، وتطوّراته[٣].

كما إنّ لهذا اللون من التعبير الأثر الكبير في حلّ الكثير من المشاكل الاجتماعية وتخفيف حدّة الغيظ والحنق على المخاطب، إذ أنّه أسلوب يقوم على المرح النفسي[٤]، يخفف من وطأة العقوبة، ويهيئ النفس لتقبلها والانتفاع بها، ممّا يعني أسلوبا آخرا مميّزا في الإصلاح والتهذيب.

رابعا: أبرز مجالات التهكم عند الأدباء والنقّاد.

تبيّن لنا من خلال ما سبق أنّ التهكم أداة نقد اجتماعي، يهدف إلى الإصلاح والتهذيب، وتنقية المجتمع ممّا قد يعلق به من الشوائب والانحرافات، وفهمنا أن ليس كلّ العيوب تكون عرضة للتهكم، و ّإنما تلك التي تستدعي الغرابة، وتكون مثارا للتساؤل لخروجها عن المألوف في الطباع والأحوال.

كما علمنا أنّ التهكم قد يكون للتندر وإثارة الضحك ؛ بتسليط الضوء على عيوب وسقطات الآخرين ؛ لجعلها محلاّ للسخرية والاستهزاء، ولكن ذلك يبقى حديثا مجملا يحتاج إلى التفصيل والتوضيح، فلا بأس أن نقسم التهكم باعتبار مجالاته إلى عدة أقسام، مع الإحالة إلى كتب الأدب

---

(١) ينظر : عادل العوا : مواكب التهكم (ص ١٢ ١٣) سبق ذكره.

(٢) ينظر: الهوّال، حامد : السخرية في أدب المازني (ص١٧) وشاكر عبد الحميد: الفكاهة والضحك رؤية جديدة (ص ٤٣).

(٣) نفس المرجع نفسه: (ص ٦٩). و ينظر : الحوفي،احمد : الفكاهة في الأدب (٧٣/١).

(٤) ينظر: الحوفي، احمد: الفكاهة في الأدب (٧٣/١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للاطلاع على الأمثلة ؛ لئلا يطول بنا المقام ؛ إذ ليس من أغراض الدراسة الحصر، وإنّما التوضيح والبيان وذلك على النحو التالي:

أولاً : التهكم بالعيوب الجسديّة أو ما يسمى بملامح الجسم الخارجيّة،من مثل؛ الوجه، اللحية الأنف، قبح الصوت،الجسد كلّه.

من ذلك قول دُعبل الخزاعي في وجه :

ووجهٌ كوجهِ الغول فيه سماجةٌ   مفوّهةٌ شوهاءَ ذاتُ مشافر[(١)].

ثانياً: التهكم بالعيوب النفسيّة من مثل : البخل، الجبن،الغباء، الشره والطمع، النفاق والرياء.

من ذلك قول أحدهم يصف أحد البخلاء، وكنيته أبو نوح :

أبو نوحٍ أتيتُ إليه يوماً   فغدّاني برائحةِ الطعام

وقدّم بيننا لحماً سميناً   أكلناهُ على طبق الكلام[(٢)]

ثالثاً: التهكم بالعقائد الزائفة.

من ذلك قول أبي العلاء المعري يتهكم بأصحاب الحلولية والتناسخ:

تباركَ ا ُ كاشف المحن   فقد أرانا عجائبَ الزمن

حمارُ شيبانَ شيخُ بلدِتنا   صيّرَه جارُنا أبو السَكَن

بدّل من مِشيتهِ بحلّتهِ   مِشيته في الحزامِ والرسَن[(٣)].

---

(١) حسن جمد، ١٤١٤هـ، شرح ديوان دعبل ط١، دار الكتاب العربي، ١٤١٤هـ (ص ٨٣) وينظر للأمثلة: ابن الرومي: ديوان ابن الرومي، تحقيق : عبد الأمير مهنا، دار الهلال (١٨٧/٥) و(٣/ ٣٢٧)، و الأصفهاني، الراغب، ت ٥٠٢هـ: محاضرات الأدباء، ط١، تحقيق عمر الطبّاع، دار الأرقم، ١٤٢٠هـ (٢/ ٣٤١). حسن جمد، ١٤١٤هـ، شرح ديوان دعبل ط١، دار الكتاب العربي، ١٤١٤هـ (ص ٨٣)

(٢) ينظر :ابن عبد ربّه، العقد الفريد، شرح وعناية احمد أمين، ابراهيم الأبياري، عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ (١٤٥/١) و ينظر للأمثلة: الجاحظ : كتاب البخلاء (ص ٣٣، ٣٤) سبق ذكره، ١٤٥، ١٤٦) و (٦/ ١٨٧)،، وابن قتيبة، عبد ا بن مسلم، ت ٢٧٦هـ : عيون الأخبار، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ (١/ ٤٣٥)، وابن شاكر، محمد، ت ٧٦٤هـ : فوات الوفيات : تحقيق :د. إحسان عبّاس، دار صادر (١/ ٢٠١). والرافعي، مصطفى صادق : ديوان الرافعي، تحقيق وشرح د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية،١٤٢٣هـ (ص ٤٤٣).

(٣) ينظر: المعرّي، أبو العلاء : رسالة الغفران، دار صادر، بيروت، ١٣٨٤هـ (ص ٣١٦).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعا : التهكم السياسي.

من ذلك قول دعبل بعد موت المعتصم وتولي الواثق الخلافة :

الحمدُ ـِ لا صبرٌ ولا جلد ولا عزاءٌ إذا أهل البلاد رقدوا
خليفةٌ مات لم يحزنْ له أحدٌ وآخر قام لم يفرح له أحد
فمر هذا ومرّ الشؤمُ يتبعُه وقام هذا فقام الويلُ والنكدُ(١).

خامسا: التهكم بالنفس.

من ذلك قول أبي دُلامة، وقد كان في مجلس المهدي:

ألا أبلغ لديك أبا دلامة فليس من الكرام ولا الكرامة
إذا لبس العمامة كان قردا وخنزيرا إذا نزع العمامة
جمعت دمامة وجمعت لؤما كذاك اللؤم تتبعه الدمامة(٢)،(٣).

وقد لا تكون هذه الصور مستوفية للتهكم الأدبي ؛ ضرورة أنّ هذا الفن واسع، يصعب أن يوقف فيه على حدّ معين، ولذلك سنكتفي بهذه المجالات الخمس على اعتبار أنها من أبرز صور التهكم.

بعد هذه الإضاءة الموجزة ؛ نلاحظ أنّ التهكّم أخذ مجالاً لا بأس به في الكتابات الأدبية، خاصّةً تلك التي عنيت بالجانب الفكاهي، وأن هذا الحضور كان له أسبابه، وأغراضه، وقِيَمُه الأدبية، وأن لهذه الأمور مجتمعة الأثر الكبير في الأديب نفسه، وفي المجتمع الذي يعيش فيه، من حيث تنمية القدرات والمواهب، والنقد والإصلاح، والقدرة على التغيير والتهذيب.

---

(١) ينظر : حسن جمد: شرح ديوان دعبل (ص ٦١) سبق ذكره.

(٢) ينظر للمثال : النويري، شهاب الدين، ت ٧٣٢هـ، نهاية الإرب في فنون الأدب، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد، المؤسسة المصرية للنشر، (٤/ ٤٣)بتصرّف.

(٣) ينظر هذه المجالات الخمس : الحوفي، أحمد : الفكاهة في الأدب (١/ ٥٨،٧٢، ١٠٣) و (٢ / ٥٥)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الرابع : المصطلحات المتعلقة بالتهكم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هناك بعض المصطلحات الفنّية في علم البديع أو الأدب يمكن أن تتداخل مع مفهوم التهكم ؛ لذا رأيت أنّ من المناسب الإشارة إلى بعضها، وبيان وجه الشبه والاختلاف بينها وبين التهكم ؛ لتتمّ الفائدة. فمن هذه المصطلحات : (الدعابة،الهجاء،الهجاء في معرض المدح، الهَزْل الذي يراد به الجِدّ، السخرية).

أولاً : الدعابة :لغة :من دعب داعبه مداعبة : مازحه، والاسم : الدعابة، والمُداعبة : المُمازحة [(١)]،وهي اسم لما يُستملح من المزح[(٢)].

وفي عرف الأدب : صفة المرح في نادرة، أو طُرْفة، أو جملة يتعمد الأديب ذكرها في النصّ الرّصين ؛ ليخلق في الجو روحاً من الراحة، أو الأسلوب الساخر[(٣)]؛ولذلك غالبا ما تكون بين الأوِدّاء والأصدقاء، وليس لها من غرض سوى الضحك والإضحاك[(٤)].

وتقوم الدعابة على اختيار جانب الضعف في الأصدقاء أو التركيز على خصلة اشتهر بها الصديق، ومن ثمّ جعلها مثارا للسخرية.

ولمّا كان المقصود من الدُعابة المرح والسرور ؛ فهي تحتاج إلى قدر كبير من المهارة والخفّة ؛ بحيث لا تؤذي الصديق، ولا تغضّ من قدره[(٥)].

وتختلف الدعابة عن التهكم من حيث الغاية والهدف ؛ فغاية التهكم التهذيب والإصلاح والنقد، بينما الدعابة لا يقصد منها إلاّ مجرد المرح والضّحك.

وممّا ورد في الدعابة، أنّ محمداً العبد الشاعر المصري كان يكتب بالمداد، فسقطت من قلمه نقطة على القرطاس – وكان إمام العبد أسود اللون – فقال له حافظ إبراهيم : يا محمد نشّف

---

(١) ابن منظور :لسان العرب، مادة دعب (٣٧٥/١).

(٢) المناوي، محمد عبد الرؤوف: التوقيف على مهمّات التعاريف، ط١، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق ١٤١٠هـ باب الدال فصل العين ص٣٣٨.

(٣) د. محمد التنوخي : المعجم المفصّل في الادب (٤٤٠/٢) مرجع سابق.

(٤) الحوفي، احمد: الفكاهة في الادب (٧٣/١).

(٥) المرجع نفسه (١/ ١٣١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عرقك. فهو يداعب صديقه فيتخيّل أنّ نقطة المداد التي سقطت على الورق إن هي إلاّ قطرة من عرقه لأنه أسود اللون، وعرقه بالقياس أسود اللون[١].

ثانياً : الهجاء.

لغة: ضد المدح وبابه عدا[٢]، وهجاه يهجوه هجواً وهجاءً وتهجاءً ممدود: شتمه بالشعر[٣].

ويعدّ الهجاء من أقرب أبواب الأدب العربي والشعر العربي إلى التهكم، فهو يشبه التصوير الساخر لأنّه يمسخ خصائص المهجو ويبرز عيوبه ويبالغ في بعضها على نحو يخفي ما لدى المهجو من محاسن، وكانت العرب لا تفحش في الهجو وتكتفي بالتهكم ثمّ اتخذ محترفوا الشعر بعض الإقذاع وجاراهم السفهاء ···فظهر التعرّض للحرمات وكثر القذف والسباب والإفحاش[٤].

أمّا الفرق بينه وبين التهكم فمن جهة أنّ الهجاء صادر عن نفس واجدة غاضبة حاقدة، أمّا التهكم فصادر عن نفس ساخرة ناقدة مبرّأة من الحقد والموجدة، كما أنّ الغرض من الهجاء التجريح والتشهير والعدوان، على حين أنّ الغرض من التهكم التهذيب والتقويم والإصلاح[٥].

وممّا جاء في الهجاء قول جرير يهجو قبيلة تغلب قبيلة الأخطل :

ولو أنّ تغلبَ جمعت أحسابها يوم التفاضل لم تزن مِثْقالاً
تلقاهُمُ حلما على أعدائهم وعلى الصديق تراهُمُ جهّالاً
لا تطلبنّ خؤولةً في تغلب فالزنج أكرم منهُمُ أخـ والاً[٦].

---

(١) الحوفي، الفكاهة في الأدب (١٣٢/١).

(٢) الرازي: مختار الصحاح باب، هجا (١٨٨/١).

(٣) ابن منظور لسان العرب، باب هجا.

(٤) ينظر: عادل العوا: مواكب التهكم (ص٥٣)ود.محمد التنوخي : المعجم المفصّل في الأدب (٨٧٢/٢) مراجع سابقة.

(٥) ينظر : الحوفي، احمد: الفكاهة في الأدب (٧٣/١)(٦٧/٢).

(٦) يوسف عيد، شرح ديوان جرير، ط١، دار الجليل، بيروت، (ص ٥٦٥).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول في موضع آخر :

قَبحَ الإلهُ وجوهَ تغلبَ إنّها ... هانتْ عليّ مراسِناً[١] وسِبـالا[٢]

قّبح الإله وجوه تغلب كلّما ... شَبحَ الحجيجُ وكبّروُا إهْلالا[٣].

ومن الهجاء قول ابن الرومي في خالد القحطبي:

يا مستقرّ العارِ والنقصِ ... أغنتْ مخازيك عن الفحـصِ

إنّي وإن غيّبته عن طيءٍ ... أهل العُلا والمجد والقبـ ـصِ

لواجدٌ فيك بلا فريّةٍ ... مشاتما تغني عن النـ ـ ـ ـص

معايبُ النّاس وسوءاتُهمُ ... قد جُمعت لي منك في شخص[٤].

ومنه قول دعبل الخزاعي يهجو أبا نصير بن حُميد الطوسي:

أبا نصيرٍ تحلْحَلْ عن مجالسِنا ... فإنّ فيك لمَنْ جاراكَ مُنْتَقصا

أنت الحمارُ حروناً إنْ رفقتَ ... به وإن قصدت إلى معروفه قمصا

إنّي هَززتُكَ لا آلوك مجتهداً لو ... كنتَ سيفاً ولكني هززت عَصا[٥].

ثالثاً : الهجاء في معرض المدح.

وهو فن من فنون البديع معناه: أن يقصد المتكلم هجاء إنسان فيأتي بألفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها القدح فيتوهّم أنه يمدحه وهو يهجوه.

من ذلك قول الحماسي:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ... ومن إساءة أهل السوء إحسانا

كأنّ ربّك لم يخلق لخشيته ... سواهم من جميع الناس إنسانا.

---

(١) المراسن: الأنوف.

(٢) السبال: ما على الشارب من شعر : انظر نفس المرجع (ص ٥٦١).

(٣) نفس المرجع : (ص ٥٦١).

(٤) ابن الرومي : ديوان ابن الرومي (٤ / ٩-١٠) بتصرف، سبق ذكره.

(٥) حسن جمد : شرح ديوان دعبل (ص٨٨) سبق ذكره.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فظاهر الكلام المدح بالحلم والعفّة والخشية والتقوى وباطنه انّهم في غاية الذلّ وعدم المنفعة(١).

وهذا النوع كثير الالتباس بالتهكم كما يقول ابن حجّة(٢)، لأنّ المتكلم في التهكم وفي الهجاء في معرض المدح يظهر الإحسان ويبطن الإساءة، ولكن يفرّق بينهما من حيث إنّ التهكم يفهم من لفظه أو فحواه أو أسلوبه، أو مقامه أن المقصود السخرية والاستهزاء، بخلاف الهجاء في معرض المدح، فظاهره لا يدلّ على المدح حتى يقترن به ما يفهم أن المقصود الهجو (٣).

وقيل في التفريق بينها : أنّ الكلام في التهكم لا يكون موجها، بل خالصا في الظاهر للمعنى المستحبّ، وإنّما ذكر في غير موضعه استهزاء، أمّا في الهجاء في معرض المدح، فلا بدّ من كونه موجها بالاعتبار يحتمل المدح والهجو، والمقصود به الهجو، وإنّما جيء به على هذه الصورة ؛ إيهاما لا استهزاء(٤).

رابعاً : الهزل الذي يراد به الجدّ.

وهو من فنون البديع أيضا، ومعناه: أن يقصد المتكلم مدح إنسان أو ذمّه فيخرج من ذلك المقصد مخرج الهزل المعجب والمجون اللائق بالحال.

ومنه قول ابن المعتز:

أرْقيكَ أرقيك باسْم اللِه أرقيكا ... من بُخْل نفسك عل ا يشْفِيكا

ما سِلْمُ كفّكَ إلا من يناوِلُها ... ولا عَدوّكَ إلاّ من يُرجّيـ ـكا(٥).

ومنه قول ابن جابر الأندلسي:

قُلْ للصباحِ إذا لاح نُورهُمُ ... إنْ كانَ عندكَ هذا النّورُ فابتسِمِ

(١) ابن حجّة: خزانة (٢٧٥/٢) سبق ذكره.

(٢) ينظر: نفس المرجع (١٩١/٢).

(٣) ابن معصوم : أنوار الربيع (٢/ ١٩٥).

(٤) الخوري، بولس عوّاد: العقد البديع في فنّ البديع (ص١٣٤).

(٥) ابن حجة: خزانة الأدب (٢/ ١٩-٢٠).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد أخرج الكلام مجرى الهزل لأنّ الصباح لا يقدر أن يضاهي نورهم إذا ابتسم [١].

والفرق بين هذا الأسلوب وأسلوب التهكم أنّه بعكسه، فالتهكم ظاهره جدّ وباطنه هزل لمجيئه على سبيل الاستهزاء،والهزل الذي يراد به الجدّ ظاهره هزل وباطنه جدّ [٢].

خامساً : السخرية.

تعتبر السخرية من ألصق المصطلحات بمفهوم التهكم، وتعني لغة :الاستهزاء[٣]، يستخدم فيها الأسلوب الجدّي أو المعنى الواقعي ؛ بأن يتّبع المتكلم طريقة في عرض الحديث بعكس ما يمكن أن يقال، بمعنى أن يظهر خلاف ما يبطن على وجه يفهم منه استضعاف العقل[٤]، والاستخفاف بالمخاطب ؛ لذا فهي أسلوب، وسلاح عدائي، لكنه مصوغ بروح الفكاهة وأسلوبها، يؤدي معناها عدّة ألفاظ أبرزها التهكم[٥].

وللسخرية أساليب متعددة يحسن أن نورد أبرزها؛ لما له من أهمّية في بيان علاقة السخرية بالتهكم، فمن أبرز هذه الأساليب[٦] :-

أولاً: الردّ بالمثل، وهو قائم على التماثل، من ذلك أنّ الأخطل مرّ بالفرزدق وهو صبيّ، فقال : أيسرّك أن أكون أباك؟ قال الفرزدق : لا ولكن يسرّني أن تكون أمّي؛ فيأكل أبي من أطيابك[٧].

ثانياً : اللعب بالألفاظ والمعاني، ومن أنواعها الكناية، والتورية، والتعريض، والقلب.

---

(١) الرعيني، شهاب الدين: طراز الحلّة وشفاء الغلّة (٦١٤).

(٢) المصري، ابن أبي الأصبع: بديع القرآن (ص٢٨٤).

(٣) ابن منظور : لسان العرب (١٨٣/١).

(٤) محمد التنوخي: المعجم المفصّل في الأدب (٥٢٢/٢) مرجع سابق.

(٥) عبد الحليم حفني : أسلوب السخرية في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م (ص١٣).

(٦) ينظر عبد الخالق عودة : السخرية في الشعر العبّاسي (ص ١١) وما بعدها، مرجع سابق.

(٧) الراغب الصفهاني: محاضرات الأدباء (٢٠٢/١) مرجع سابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً: الهزل الذي يراد به الجدّ ، وقد سبق بيانه قبل قليل،والفاتح لهذا الباب: امرؤ القيس، وقوله أبلغ ما سُمع فيه وألطف قال:

وقد علمتْ سلمى وان كانَ بعلُها   بأن الفتى يَهْذي وليس بفعّال.

وهذا اللون ما يسبكه في قوالبه إلا من لطفت ذاته وكان له ملكة في هذا الفنّ وحسن تصريف[١].

رابعاً : التبشير في موضع الإنذار،أو الوعد في مقام الوعيد كقوله تعالى: ((بشّر المنافقين بأنّ لهم عذابا أليما))[٢].

خامساً : المواربة:وهي أن يقول المتكلم قولا يتضمن ما ينكر منه بسببه وتوجه إليه المؤاخذة، فإذا حصل الإنكار عليه استحضر بذكائه وجها من الوجوه إما بتحريف كلمة أو تصحيفها أو بزيادة أو نقص أو غير ذلك، ومنه قول أبي نواس في خالصة جارية الرشيد هاجيا لها:

لقد ضاع شِعري على بابكُمْ   كما ضاعَ عقدٌ على خالصةْ

فلمّا بلغ الرشيد ذلك أنكر عليه وتهدده بسببه فقال: لم أقل إلا :

لقد ضاءَ شِعري على بابِكم   كما ضاء عقدٌعلى خالصةْ

فاستحسن الرشيد مواربته [٣].

سادساً: المبالغة: وهي أن يدّعي المتكلم لوصف بلوغه في الشدّه أو الضعف حدّا مستبعداً أو مستحيلاً [٤] ؛ فيفرط في الوصف وتجسيم الصورة أو العيب المقصود بغرض السخرية [٥].

---

(١) ينظر : ابن حجة: خزانة الأدب (٢/ ٢٠-٢١).

(٢) سورة النساء: آية رقم (١٣٨).

(٣) ابن حجّة :خزانة الادب (٢/٢٥٢-٢٥٣).

(٤) الهاشمي، احمد : جواهر البلاغة (ص٤٠٦) مرجع سابق.

(٥) الهوّال، حامد عبد: السخرية في أدب المازني (ص٤٩) مرجع سابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الخامس: التهكم عند المفسّرين والمحدّثين، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأوّل: مفهوم التهكم عند المفسّرين.

المطلب الثاني: نظرة المفسّرين إلى التهكم من الناحية البلاغيّة.

المطلب الثالث:عناية المفسّرين بهذا الفنّ.

المطلب الرابع : لمحة عن التهكم في السنّة النبويّة المطهّرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا : مفهوم التهكم عند المفسّرين:

لم يضع المفسّرون تعريفاً محدّداً لمفهوم التهكم ؛ حتى نستطيع أن نسجله في مثل هذا المقام، وإنّما يُستخلص ذلك من خلال استقراء كلامهم في تفسير الآيات التي ورد فيها هذا الأسلوب، وتوضيحهم لصورة التهكم فيها.

ومن خلال ذلك، وجدت أنّ المفسّرين لم يخرجوا عمّا وضعه أهل الاصطلاح في تعريف التهكم من أنّه : استخدام الألفاظ في نقائضها أو أضدادها لإرادة السخرية والاستهزاء بالمخاطب، وأنّ الكلام فيه يكون على غير الحقيقة، وإن كانوا يوردون في بعض الأحيان ما يدلّ على هذا المعنى من الألفاظ.

من ذلك أشارة الفرّاء (٢٠٧هـ) – رحمه ا -عند تفسيره لقوله تعالى :((فبشّرهم بعذاب أليم))(١) قال: والبشارة إنمّا تكون في الخير، فقد قيل ذلك في الشرّ(٢)،أي إنّ اللفظ استخدم في عكس معناه أو مع نقيضه في المعنى.

أمّا الزمخشري (٥٢٨هـ) – رحمه ا - فعبّر عنه بالتعكيس، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ((إنّ رسولكم الذي أُرسل إليكم لمجنون))(٣) قال:" وكيف يقرّون بنزول الذكر عليه، وينسبونه إلى الجنون ؟!، والتعكيس(٤) في كلامهم للاستهزاء "(٥).

---

(١) سورة آل عمران آية رقم (٢١).

(٢) الفرّاء: معاني القرآن (١ / ٢٣٩).

(٣) سورة : الشعراء: آية رقم (٢٧).

(٤) التعكيس غير العكس الذي في البديع، فالعكس معناه: أن تقدّم جزءا ثمّ تعكس بأن تقدم ما أخّرت وتؤخر ما قدّمت، وله أنواع، ينظر: الهاشمي أحمد، جواهر البلاغة،ط١، ١٤٢٠هـ، تحقيق وشرح : د.التّونْجيْ، محمد، مؤسسة المعارف، بيروت، (ص ٤١٩)، ويرى أبو موسى إن هذا المصطلح يرد بمعنى التنويع، وهو ادّعاء إن للمسمّى نوعين : متعارف وغير متعارف على طريقة التخييل.ومفهوم العكس عند الزمخشري يشمل الاستعارة العنادية والتنويع، ينظر محمد أبو موسى : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية١٤٠٨هـ، ط٢،مكتبة وهبة، دار التضامن (ص ٥٠٩ وما بعدها)، وفرّق النكلاوي فريد، بين التهكم والتنويع، ينظر كتابه : البيان عند الشهاب الخفاجي،١٤٠١هـ، القسم الأول (التشبيه) مطبعة الأمانة، (ص ١٧٤وما بعدها).

(٥) الزمخشري، : الكشّاف (٣ / ٣٩٨)، سبق ذكره.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبمثل هذا قال أبو السعود (٩٥١هـ) - رحمه ا - عند تفسيره لقوله تعالى : ((إنْ تستفتحوا فقد جاءَكُم الفتح))[١] فبعد أن بيّن أنّ في الآية تهكماً قال: والتهكم في نفس الفتح حيث وضع موضع ما يقابله [٢].

لاحظ أنّ لفظ الفتح استعمل في غير موضعه،إذ إنّ الهزيمة التي لحقت بالكفار لا تسمّى فتحا بالنسبة لهم، وإنّما ذلك على سبيل التهكم.

هذا عند المتقدّمين، أمّا في تفاسير المتأخرين فإنّنا نجد تصريحا أكثر في بيان معنى التهكم، فقد ورد في تفسير الآلوسي(١٢٧٠هـ) –رحمه ا – أنّ التهكم هو: ذكر الشيء وإرادة نقيضه استحقاراً للمخاطب[٣].

ثانيا: نظرة المفسّرين إلى التهكم من الناحية البلاغيّة.

علمنا من قبل أنّ التهكم في أصله البلاغي يرجع إلى الاستعارة، ويدخل تحت قسم منها يسمّى بالاستعارة التهكميّة، وهي منبثقة عن العناديّة التي هي شقيقة الوفاقيّة ؛ وذلك لأن علماء البلاغة يقسّمون الاستعارة باعتبار طرفيها إلى قسمين : وفاقيّة: وهي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد ؛ لعدم التنافي، كاجتماع النور والهدى، وعناديّة ؛ وهي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد ؛ لتناقضهما، كاجتماع النور والظلام.

وجعلوا من العناديّة، التهكميّة ؛ وهي التي يستعمل فيها اللفظ الموضوع لمعنى شريف مع ضدّه أو نقيضه ؛ بقصد الاستهزاء والتهكم[٤].

لقدعني المفسّرون بالتهكم على اعتبار أنه أسلوب من أساليب القرآن الكريم، وذكروه تحت باب الاستعارة التهكميّة، وهذا ما يفهم من كلامهم – لا سيّما المفسّرون القدامى – فهم غالبا ما

---

(١) سورة الأنفال: آية رقم (١٩).

(٢) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، ت ٩٥١هـ، : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت (٤ / ١٤).

(٣) الآلوسي، محمود أبو الثناء، ت ١٢٧٠هـ، : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث، بيروت (١٢٩/١٣).

(٤) ينظر: الهاشمي،احمد: جواهر البلاغة (ص٣٥١-٣٥٢) وعلي البدري: علم البيان في الدراسات البلاغية، ١٤٠٤هـ، ط٢ (ص ٢٠٠).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقولون : إنّ في الآية تهكّماً، أو إنّ ذلك من باب الاستعارة لغرض التهكّم، وأكثر من يسير على هذا النهج ؛ الزمخشري، والقرطبي[١]، والبيضاوي[٢]، وابن كثير[٣]، وابو السعود[٤].

وأمّا المتأخّرون فعباراتهم أكثر تفصيلا ؛ - ومعلوم أنّ كلام اللاحق شارح ومبيّن لكلام السابق- فنجدهم يستخدمون مصطلح الاستعارة التهكميّة عند شرح الآيات التي يرد فيها هذا الأسلوب، وأكثر من يسير على هذا النهج ؛الشهاب الخفاجي، والآلوسي وابن عاشور.

ولمّا كانت الاستعارة أصلا مبنيّة على المجاز[٥]- إذ هي مجاز لغوي علاقته المشابهة[٦]، فإذا لم تكن العلاقة المشابهة صار مجازا مرســـــلا، وله علاقات كثيرة مبيّنة في كتب البلاغة[٧]- فقد نظر بعض المفسّرين إلى التهكّم على أنّه نوع من المجاز المرسل،لأنّ الجامع في الاستعارة التهكميّة يكون ادّعائيا في أحد طرفي التشبيه فلا مشابهة في الحقيقة بين طرفي التشبيه، لذا فهو من باب المجاز المرسل.

وإلى هذا مال الشهاب الخفاجي، فيقول في تعليقه على تفسير البيضاوي لقوله تعالى : ((بشّر المنافقين بأنّ لهم عذابا أليما))[٨] قال: " قوله :-أي البيضاوي- مكان أنذر،أحسن من قول الزمخشري : مكان أخبر،لأنّ الاستعارة التهكميّة تكون في استعارة الضدّ لضدّه، والإخبار ليس ضدّا له لأنّه أعمّ، ولك أن تقول إنّه مجاز مرسل فهو وجه آخر في التهكم"[٩].

وفي تفسير قوله تعالى : ((أم تأمرهم أحلامهم بهذا)) [١٠] قال الشهاب: مجاز عن

---

(١) ينظر مثلا (١٧ / ٢١٥) تفسير الآية رقم (٥٦) من سورة الواقعة.

(٢) ينظر (٣ / ٣٦٢) تفسير الآية رقم (٦) سورة الحجر.

(٣) ينظر (٣ / ٣٤٧) تفسير الآية رقم (٨٧) سورة هود.

(٤) ينظر (٤ / ١٦٤) تفسير الآية رقم (٧١) سورة يونس.

(٥) المجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي. ينظر:الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة، (ص ٣١٨).

(٦) نفس المرجع (ص٣٤١).

(٧) ينظر نفس المرجع السابق (ص٣١٩ وما بعدها).

(٨) سورة النساء :آية رقم(١٣٨).

(٩) الشهاب الخفاجي، أحمد بن محمد، ت ١٠٦٩هـ: عناية القاضي وكفاية الراضي، ط١، تخريج وضبط : عبد الرزّاق المهدي، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ(٣٧٤/٣)وانظر:د.فريد النكلاوي: البيان عند الشهاب الخفاجي، القسم الثاني (المجاز) ١٤٠٤هـ (ص١٨٩).

(١٠) سورة الطور: آية رقم (٣٢).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التأدية إلى الشيء بعلاقة السببيّة[١]، أي إنّه جعل الأحلام آمرة على سبيل المجاز المرسل وعلاقته السببيّة.

وبمثل هذا قال الجمل في حاشيته على الجلالين، فعند تفسير قوله تعالى:

((فأثابكم غمّابغمّ)) [٢] قال : سميت العقوبة التي نزلت بهم ثوابا على سبيل المجاز[٣].

ومن المفسّرين من يجعل التهكم من التشبيه – كما سيأتي بعد قليل -، فيسمّيه التشبيه التهكمي[٤]، وبين الاستعارة التهكميّة وبين التشبيه شبه كبير ؛ فالاستعارة ليست إلا تشبيها حُذف أحد طرفيه، ووجه الشبه، وأداته، لكن في التشبيه لا بدّ من ذكر المشبّه والمشبّه به، ممّا يعني أنّ العلاقة بينهما ليست إلا المشابهة،أمّا في الاستعارة فإنّ الاتحاد والامتزاج بين المشبه والمشبه به بحيث يصيران معنىً واحداً يصدقُ عليهما لفظ واحد، أمر ادّعائي[٥].

ولذلك فإنّ إدخال التهكّم في التشبيه لأنّه لا وجه للمشابهة بين المشبّه والمشبّه به – الأمر الذي يقتضيه التشبيه- فيكون ذلك جار على نهج التهكم.

وممّن استخدم هذا التعبير الأمام الآلوسي، عند تفسيره لقوله تعالى : ((وظل من يحموم))[٦] قال: تسميته ظل على التشبيه التهكمي[٧].

ومثله قول ابن عاشور عند تفسير قوله تعالى: ((هذا نزلهم يوم الدين))[٨] قال: وههنا تشبيه تهكمي كالاستعارة التهكميّة كقول أبي الشعر الضبّي:

وكنّا إذا الجبّار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزولا[٩].

---

(١) الشهاب الخفاجي : الحاشية (٦١٤/٨).

(٢) سورة آل عمران: آية رقم (١٥٣).

(٣) الجمل، سليمان الشافعي، ت ١٢٠٤، حاشية الجمل على الجلالين،ط١، ضبط وتصحيح : ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ (٤٩٧/١) بتصرف، وينظر: صدّيق حسن خان، ت ١٣٠٧هـ، : فتح البيان في بيان مقاصد القرآن، نشر : عبد المحيي محفوظ، مطبعة العاصمة، القاهرة (١٥٠/٢).

(٤) هذا الاصطلاح، ذكره النكلاوي في كتاب : البيان عند الشهاب، القسم الأول (١٧٢) سبق ذكره.

(٥) ينظر: الهاشمي، أحمد : جواهر البلاغة (هامش، ص ٣٣١ –٣٣٢ من كلام الشارح) بتصرف.

(٦) سورة الواقعة: آية رقم (٤٣).

(٧) الآلوسي: روح المعاني: (١٤٣/٢٧).

(٨) سورة الواقعة: آية رقم (٥٦).

(٩) ابن عاشور، الطاهر محمد: التحرير والتنوير، الدار التونسية، ١٩٨٤م (٣١١/٢٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا نلاحظ أنّ التهكم عند المفسّرين مبني على الاستعارة التهكميّة، أو يعدّ نوعا من المجاز، أو صورة في التشبيه، وكلّها مفردات في علم البيان، ممّا يدل على أهميّة هذا الأسلوب ومكانته في التعبير البياني.

ثالثاً: عناية المفسّرين بأسلوب التهكم في القرآن الكريم.

أشرنا من قبل إلى اسبقيّه المفسّرين في بيان هذا الفن، وأنّه مذهب من مذاهب العربيّة، وطرائقها في التعبير ؛ لذلك حرص المفسّرون على تجليته، وتحديد هويّته، كما نبّهوا على كثرة وقوعه في القرآن الكريم(١)، فلا يكادون يمرّون بآية استخدم فيها هذا الأسلوب إلاّ و نبهوا عليه، وبينوا علته، ووضحوا صورة التهكم به على حسب ما يقتضيه المقام، وذلك لأنّ بعض الآيات يكون التهكم فيها واضحا لا يحتاج إلى كبير تأمّل، ففي مثل هذه الحال نجد أن الكثير من المفسرين يكتفي بالإشارة إلى أنّ في الآية تهكما، وقد يشفع ذلك بشيء من البيان وذلك مثل قوله تعالى :((فبشره بعذاب أليم))(٢)، فالتهكم فيها واضح، لأنّ لفظ البشارة لايتناسب مع العذاب.

لكن في مثل قوله تعالى : ((ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيّهم يكفلُ مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون))(٣) ؛ فتبدو صورة التهكم غير واضحة، ممّا يستدعي المفسر إلى قدر أكبر من التوضيح والبيان، فنجد أبا السعود يقول في تفسير الآية : "في قوله تعالى: ((وما كنت لديهم)) أي ؛ عند الذين اختلفوا وتنازعوا في تربية مريم، وهو تقرير وتحقيق لكونه وحيا على طريق التهكم بمنكريه كما في قوله تعالى : ((وما كنت بجانب الغربي...))(٤) الآية ؛ فإنّ معرفة أمثال هاتيك الحوادث والواقعات إمّا المشاهدة و إمّا السماع، وعدمه محقق عندهم، فبقي احتمال المعاينة المستحيلة ضرورة، فنفيت ؛ تهكماً بهم"(٥).

ولا نريد أن نتوسع في إيراد الأمثلة ؛ لئلا يحدث شئ من التكرار فلعل ما سيأتي في الفصل الثالث من التفصيل سيفي بالغرض - إن شاء ا - ويكون فيه دلالة واضحة على عناية المفسرين بهذا الفن وأهميته في التعبير البياني.

---

(١) ينظر: الزمخشري: الكشّاف (٣٨٩/٣)، والآلوسي :روح المعاني (٢٣٨/١٦)،(١٢٩/١٣).

(٢) سورة آل عمران :آية رقم (٢١).

(٣) سورة آل عمران :آية رقم (٤٤).

(٤) سورة القصص: آية رقم (٤٤).

(٥) أبو السعود : إرشاد العقل السليم (٢ /٣٦)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعاً: التهكم عند المحدّثين.

لا يخفى أنّ السنة النبوية تأتي بعد القرآن الكريم مباشرة من حيث الفصاحة والبلاغة والبيان وذلك لأنّ النّبيّ -عليه الصلاة السلام - أوتي جوامع الكلم فهو أفصح وأبلغ من نطق بالضاد.

ولما كان حديثنا عن التهكم بوصفه أسلوبا من أساليب التعبير البليغ فلا بأس أن نشير إلى بعض الأحاديث النبوية التي اشتملت على مثل هذا الأسلوب وتعليق شرّاح الحديث عليها، ثمّ التعرّف على ما إذا كان هذا الأسلوب مستخدما عند المحدّثين أم لا ؟ - من باب استكمال الموضوع من جوانبه المتعددة، والزيادة في الفائدة - فنقف على جانب من بلاغة النبي صلى ا عليه وسلم من جهة، ونستوحي أهمية هذا الأسلوب من جهة أخرى.

فمن الأحاديث النبوّية التي ورد فيها أسلوب التهكم:-

أولا:- قوله صلى ا عليه وسلم :" من كذب عليّ متعمّدا فليتبوّأ مقعده من النار"[(١)].

قال ابن حجر –رحمه ا – في الفتح: فليتبوأ : أي فليتخذ لنفسه منزلا يقال: تبوأ الرجل المكان إذا اتخذه سكنا، وهو أمر بمعنى الخبر أو بمعنى التهديد أو بمعنى التهكم[(٢)].

قوله: أو بمعنى التهكم: لأنّ النّار لا تصلح أن تكون سكنا، أي لا يتوفر أو لا يتصوّر فيها ما يتصوّر في السكن من الحصول على الأمن والراحة، والوقاية من الأخطار، فلاحظ ابن حجر - رحمه ا - أنّ هذا اللفظ استخدم ههنا على غير ما وضع له في الاستعمال، وذلك للتنبيه على أمر معّين، وهو : التحذير من الكذب على النبيّ صلى ا عليه وسلّم.

---

(١) أخرجه البخاري، محمد بن اسماعيل، ت ٢٥٦هـ، صحيح البخاري، مراجعة :د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ، باب إثم من كذب على النبي صلى ا عليه وسلّم، حديث رقم (١٠٧)، (١/ ٥٢).

(٢) ابن حجر، احمد بن علي، ت ٨٥٢هـ : فتح الباري، محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ (١/ ٢٠١)، وينظر: المناوي، محمد عبد الرؤوف، ت ١٠٣١هـ: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ،(٦/ ٢٧٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً: قوله صلى ا عليه وسلّم: "من آتاه ا مالا فلم يؤد زكاته ؛ مُثّل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان، يطوّقه يوم القيامة، ثمّ يؤخذُ بلهْزمَيه يعني شدقيه، ثمّ يقول أنا مالك أنا كنزك..."(١).

قال ابن حجر- رحمه ا - : قوله ثمّ يقول :(أنا مالك أنا كنزك) وفائدة هذا القول: الحسرة والزيادة بالتعذيب حيث لا ينفعه الندم وفيه نوع من التهكم(٢)، لأنّ ما كانت عاقبته هذه، فليس بكنز، فالكنز يدّخره الإنسان لينتفع به عند حاجته، أمّا إذا كانت عاقبة الكنز الحصول على العذاب، فلا معنى للكنز فيه، وبالتالي فأن النّبي استخدم هذا اللفظ، ليبيّن سوء مسلك هؤلاء الذين يدّخرون الأموال ولا يؤدّون حق ا فيها.

ثالثاً : قوله صلى ا عليه وسلّم :" إنّ الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم : احيوا ما خلقتم " (٣).

قال ابن حجر : ونسبة الخلق إليهم إنمّا هي على سبيل التهكم والاستهزاء (٤).

وقد استخدم بعض المحدّثين هذا الأسلوب (التهكم) في مجال الجرح والتعديل ؛ وذلك عندما يريدون أن يصفوا راويا معينا بصفة من صفات الجرح، فأحيانا لا يصرّحون بتلك الصّفة، و إنّما يصفونه بضدّها أو نقيضها، وممّا ورد شاهدا على ذلك ما ذكره ابن حجر – رحمه ا – في ترجمة أحد الرواة واسمه: يونس الصدوق، قال ابن حجر: وهذا إنّما قيل له الصدوق على سبيل التهكّم(٥)، وفي موضع آخر قال: عن

أبي عبد الرحمن عبد ا بن احمد : يعني بالصدوق : الكذوب مقلوب(٦).

---

(١) صحيح البخاري، باب إثم مانع الزكاة، حديث رقم (١٣٣٨) (٢/ ٥٠٨).

(٢) ابن حجر : فتح الباري (٢٧١/٣).

(٣) صحيح البخاري : باب عذاب المصورين يوم القيامة، حديث رقم (٥٦٠٧)، (٥/ ٢٢٢٠).

(٤) ابن حجر : فتح الباري (١٣/ ٥٣٥).

(٥) ابن حجر: تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ (١٢/ ٣٦٨).

(٦) ابن حجر :لسان الميزان، مراجعة دائرة المعارف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٦هـ (٦/ ٣٣٥).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

أسلوب التهكّم في القرآن الكريم

التمهيد.

المبحث الأوّل : أسباب التهكّم في القرآن الكريم.

المبحث الثاني :عناصر التهكّم في القرآن الكريم.

المبحث الثالث : أساليب التهكم وخصائصه في القرآن الكريم.

المبحث الرابع : أغراض التهكّم في القرآن الكريم.

المبحث الخامس : الأثر البلاغي لأسلوب التهكّم في القرآن الكريم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد:

لا يخفى أنّ القرآن الكريم، هو فوق كلّ كتاب ؛ لأنّه كتاب ا تعالى، المنزّه عن العبث واللهو، والذي أودع كتابه من الفصاحة والبلاغة ما تنقطع عنده أطماع فحول البلاغة وأرباب البيان، ومن الخلق و العفّة والطهارة والنزاهة، ما لا يتهيّأ لآدمي، إلاّ لمن قال له ربّه : ((وإنّك لعلى خلق عظيم))[١] سيّد الوجود محمد صلى ا عليه وسلّم.

لذا فإنّ كل ما يصدر عن هذا الكتاب العظيم - الذي يستمدّ عظمته من عظمة منزّله - من وجوه المخاطبات وأساليب الكلام، لا بدّ وأن يكون له نسق فريد لا يختلط بغيره، ولا يرقى إليه خطاب سواه، بكلّ ما تحمل لفظة الرقيّ من المعاني والدلالات.وإذن ؛ لا بدّ أن يكون ذا طابع خاصّ من حيث الأهداف والغايات، والأساليب والخصائص، ثمّ ما يتركه في نفس المخاطب من الآثارالتي تحمله على الخضوع والإذعان طواعية وإجلال.

ولمّا كان الحديث عن التهكّم بوصفه أسلوباً من أساليب التعبير القرآني ووجوه مخاطباته، فإنّ ممّا يجمل ذكره ههنا، ما قد ينقدح في ذهن البعض من تساؤل عن سبب استخدام القرآن لهذا الأسلوب، أو كيف ينسب التهكّم إلى ا تعالى والتهكّم لأول وهلة ممّا لا يليق بصاحب الأدب والعفّة، وا تعالى منزّه عن كل عيب ومنقصة ؟.

وللإجابة عن هذا التساؤل، نستمع إلي كلام الزمخشري –رحمه ا تعالى – حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى : ((ا يستهزئ بهم ...))[٢] " فإنْ قلتَ : لا يجوز الاستهزاء على ا تعالى ؛ لأنّه منزّه متعال عن القبيح، والسخرية من باب العيب والجهل، ألا ترى إلى قوله تعالى : ((قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ با أن أكون من الجاهلين))[٣] فما معنى استهزائه بهم؟ قلت: معناه : إنزال الهوان والحقارة بهم، لأنّ المستهزئ غرضه الذي يرميه : هو طلب الخفّة والزراية ممّن يهزأ به، وإدخال الهوان والحقارة عليه ... وقد كثر التهكّم في كلام ا تعالى

(١) سورة القلم : آية رقم (٤).

(٢) سورة البقرة : آية رقم (١٥).

(٣) نفس السورة : آية رقم (٦٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالكفرة، والمراد تحقير شأنهم وازدراء أمرهم والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون "[١].

ويضاف إلى هذا أنّ الكلام ههنا جاء على سبيل المقابلة لفعل المستهزئين، وهو من قبيل الجزاء على استهزائهم، فسمّى جزاء الاستهزاء باسمه، كما سمّى جزاء السّيئة سيّئة، أو أنّ وبال الاستهزاء يرجع عليهم ؛ فيكون كالمستهزئ بهم[٢].

ومن جانب آخر، فإنّ أسلوب التهكّم في القرآن يمتاز بميزات وخصائص – كما سيأتي – ترقى به من أن ينزل إلى هذا المستوى المنعوت بالجهل والعيب.

وعليه ؛ فإنّ القرآن الكريم حين يستخدم هذا الأسلوب، لا يريد منه إلاّ الجانب المشرق، الذي يهدف إلى الإصلاح والتهذيب، والدعوة إلى نبذ كل ما لا يليق بالإنسان الذي أكرمه ا تعالى بالعقل ؛ ولذلك فلم يقتصر القرآن الكريم في استخدامه لهذا الأسلوب على الأعداء فقط، بل إنّه – أحيانا- يستخدم الأسلوب نفسه مع المسلمين حملة الدعوة، وذلك عندما يقترفون ما من شأنه أن يمسّ دينهم، أو يكون عقبة في طريقهم إلى ا تعالى، ومردّ ذلك كلّه إلى أنّ القرآن الكريم كتاب دعوة وهداية للبشريّة كلّها، فليس فيه ما ينفّر عن اتباع الحقّ وامتثال الصواب.

وثمة أمر آخر أودّ أن أشير إليه في بداية هذا الفصل، وهو أنّ الحـديث فـي المبحثـين :الأوّل والثاني من هذا الفصل، جاء نتيجةَ استقراءٍ لمجمل الآيات التي ورد فيها أسلوب التهكم ؛ لذا فإن الكلام سيأخذ سمة الاستنباط والاستنتاج، ولا أزعم أنّي سأُحيط بذلك علما ؛ إذ لا يعلم حقيقة ذلك إلا مُنزّل هذا الكتاب سبحانه وتعالى، ولكنّها محاولة، ولكل مجتهد نصيب،فإن أصبت فذلك فضل ا تعالى، وإن كانت الأخرى، فحسبي أنّي اجتهدت واستغفر ا تعالى.

---

(١) الزمخشري : الكشّاف (١/ ١٨٥).

(٢) ينظر : البيضاوي، عبد ا بن عمر، ت٦٩١هـ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق : عبد القادر العشّا، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ (١/ ١٧٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول : أسباب التهكّم في القرآن الكريم.

بعد الاستقراء لمجمل الآيات التي ورد فيها أسلوب التهكّم، تبيّن لي أنّ هناك عدّة أسباب لمجيء هذا الأسلوب، وهذه الأسباب تنقسم إلى قسمين ؛ تبعا للجهة التي يصدر منها التهكّم وذلك على النحو الآتي:

القسم الأول : حين يكون المخاطب به الكفّار، أو المنافقون، أو العصاة من المسلمين، ففي هذه الحال، تتمثّل أسباب التهكّم بما يلي:

أولاً :- الدعوة إلى ا تعالى[(١)] ؛ ذلك لأنّ القرآن الكريم كتاب هداية للبشريّة كلّها، بل إن ذلك هو هدفه الأعلى والأسمى، وبالتالي فإنّ كل ما يذكر في هذا الكتاب العزيز من وجوه المخاطبات لا بدّ وأن يكون مسخّرا لهذا الهدف، مصداقا لقوله تعالى : ((...كتاب أنزلناه إليك لتخرج النّاس من الظلمات إلى النّور بإذن ربّهم إلى صراط العزيز الحميد))[(٢)] وقوله تعالى : ((إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ...))[(٣)].

ولذلك حينما نستعرض بعض الآيات التي ورد فيها أسلوب التهكم – والتي سيأتي بيانها إن شاء ا -، مثل قوله تعالى : ((أذلك خير نزلا أم شجرة الزقّوم))[(٤)]، وقوله تعالى : ((... والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ...))[(٥)]، وقوله تعالى : ((ذقّ إنّك أنت العزيز الكريم))[(٦)]، نلمس في هذه الآيات وغيرها روحا دَعَويّة واضحة ؛ حيث إنّها تشنّ حملة قاسية من التهديد والوعيد، والتحذير من سوء العاقبة على فساد معتقد هؤلاء، وسوء مسالكهم، وبعدهم عن منهج الحق وطريق الهداية، بأسلوب مهول ومرعب، يحملهم على التفكّر والتدبّر، وهذا من تمام الرحمة الربّانيّة ؛ فإنّ التهكّم عليهم هو بحدّ ذاته أسلوب دعوة لهم ليسلكوا عكس مسالكهم[(٧)]، التي جعلتهم عرضة لضحك الضاحكين، وسببا للهلاك والخسران، وهذا خير لهم من

---

(١) من المعلوم أنّ الدعوة الإسلامية تقوم على أساسين مهمّين : الترغيب والترهيب. وأسلوب التهكم يدخل تحت عنوان الترهيب، حيث يخوف العصاة ويحذّرهم سوء عاقبة أفعالهم القبيحة ؛ رغبة في إصلاحهم وهدايتهم، وهذا ما يمكن أن نسميه أيضا إنكار المنكر.

(٢) سورة ابراهيم : آية رقم (١).

(٣) سورة الإسراء : آية رقم (٩).

(٤) سورة الصافات : آية رقم (٦٢).

(٥) سورة غافر : آية رقم (٢٠).

(٦) سورة الدخان : آية رقم (٤٩).

(٧) وهذا الأسلوب يكون بعد دعوتهم، والكف عن عنادهم ومعاداتهم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تجاهل أمرهم، وتركهم وغيّهم، فلا يختلط عليهم الحق بالباطل، ولا يخبطون خبط عشواء ؛ حتى يحي من حيي عن بيّنه، ويهلك من هاك عن بيّنه.

ثانياً :- الدفاع عن الأنبياء وفي مقدّمتهم سيّدنا محمد – صلى ا عليه وسلّم – بوصفه رسولا مبلّغا للدين، فإنّ من يتعرّض له إنمّا يتعرّض للدين، وبالتالي فإنّ القرآن الكريم قد عرض كثيرا من المواطن التي سخر فيها الأعداء من شخص النبي – صلى ا عليه وسلّم – لا لأنّه يقرّها –حاشا - وإنمّا ليسلّي نبيّه – صلى ا عليه وسلم – ببيان سذاجة عقول أعدائه، ومدى جهلهم وقلّة بصيرتهم، وما حلّ بالمستهزئين بالأنبياء قبله، قال ا تعالى : ((ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون))[١]، وما نطق به المستهزئون، إنّما يعبّر عمّا انطوت عليه نفوسهم، ويترجم ما يجول في عقولهم وما يعتري أحاسيسهم ومشاعرهم تجاه هذا النبي الكريم – صلى ا عليه وسلم -، فكأنّه يقول: هذا غاية ما توصّلوا إليه، ونهاية ما دلّتهم عليه جاهليتهم.

والسبب في ذلك، أنّ النبي - صلى ا عليه وسلّم - تميّز وتفرد على سادات قريش، وهم السادة والقادة، لأنّه دخل عليهم بنوع جديد من التفوّق وهو التفوّق الديني الذي يسلبهم كل وسائل المنافسة مع أنّه لا يملك منها شيئاً، إلا إنّ التفوق الديني يطغى عليها جميعا[٢]، يقول سبحانه : ((ما يودّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزّل عليكم من خير من ربّكم ...))[٣]، وهذا تصريح من ا تعالى بكراهيتهم للنبيّ – صلى ا عليه وسلّم – وحسدهم له على الوحي، أمّا اليهود ؛ فبناء على أنّهم أهل الكتاب، وأبناء الأنبياء، وأمّا المشركون ؛ فبما لهم من الجاه والمال ؛ زعما منهم أنّ رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيويّة [٤]، ومثل ذلك قوله تعالى:((أم يحسدون النّاس على ما آتاهم ا من فضله ...))[٥] والمراد بالنّاس : النبيّ - صلى ا عليه وسلّم – حسده اليهود على النبوّة[٦].

---

(١) سورة الأنبياء : آية رقم (٤١).

(٢) عبد الحليم حفني : التصوير الساخر، الهيئة المصرية، ١٩٩٢م، (ص ٤٢٠) بتصرّف.

(٣) سورة البقرة : آية رقم (١٠٥).

(٤) أبو السعود : إرشاد العقل السليم (١ / ١٤٢) بتصرّف.

(٥) سورة النّساء : آية (٥٤).

(٦) ينظر: القرطبي،أبو عبد ا ، ت ٦٧١ هـ، الجامع لأحكام القرآن، ط٢، تحقيق : أحمد عبد العليم، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ (٥ / ٢٥١)، و أبو السعود : إرشاد العقل السليم (٢/ ١٩٠).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالتالي فإنّ هذا العرض يجعلهم كشاخصة شاهدة على أقوالهم وأفعالهم، يراها الجميع، فيقرأها ويفهم محتواها، فيحكم عليهم بالحكم العادل، وهذا خير من تجاهلها وطي ذكرها ؛ ممّا يشعر النبي - صلى ا عليه وسلم - بأنّ هناك قوّة عظيمة تدافع عنه وتقف إلى جانبه، ذلكم هو ا تعالى.

ثالثا :- الدفاع عن المسلمين بوصفهم حرّاسا للعقيدة، وحملة للدين،ويظهر ذلك من وجهين:

الوجه الأول: الحملة النفسّية من ا تعالى على أعدائه أعداء المؤمنين،وأسلوب السخرية هنا إنّما يشدّ من عزم المؤمنين، ويكفيهم مؤنة الدفاع عن أنفسهم فيما يلاقونه من التكذيب والاستهزاء، فلا يحوجوا أنفسهم لئن يعارضوا هذا الاستهزاء باستهزاء مثله، فإنّ هناك من يدافع عن قضيتهم ويقف إلى جانبهم،وهذا من مدلولات قوله تعالى: ((وننزّل من القرآن ماهو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين ...))[(١)،(٢)] وهذا هو دأب القرآن في مقابلة أعمال الكافرين، فنجده غالبا ما يرد عليهم من جنس عملهم،((وجزاء سيّئة سيّئة مثلها))[(٣)]((ويمكرون ويمكر ا وا خير الماكرين))[(٤)] فيكون رده دائما الأقوى والأنكى، كيف لا وهو كتاب تحد وإعجاز، فنراه يرد على استهزاء الكفّار والمنافقين باستهزاء أشد منه، ويسخر من سخريتهم بالمؤمنين،يقول جلّ شأنه : ((الذين يلمزون المطوّعين في الصدقات والذين لا يجدون إلاّ جهدهم فيسخرون منهم سخر ا منهم ولهم عذاب أليم))[(٥)]، أي جازاهم على ما فعلوه من السخرية بالمؤمنين ؛ فسخر منهم [(٦)]، وما أجمل تعليق الزمخشري – رحمه ا – على قوله تعالى : ((ا يستهزئ بهم ...))[(٧)] قال: " فإنْ قلتَ : كيف ابتدئ قوله ((ا يستهزئ بهم ...)) ولم يعطف على الكلام قبله ؟ قلت: هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة، وفيه أنّ ا عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء، ولا يؤبه له في مقابلته ؛ لما ينزل بهم من

---

(١) سورة الإسراء : آية رقم (٨٢).

(٢) ينظر:البغوي، الحسين بن مسعود، ت ٥١٦هـ، معالم التنزيل، ط٢، تحقيق خالد العكّ، ومروان سوار، دار المعرفة بيروت، ١٩٨٧م، و الشوكاني، محمد بن علي، ت ١٢٥٠هـ، فتح القدير، دار الفكر بيروت (٣/ ٢٥٣)، و عبد الحليم حفني : أسلوب السخرية في القرآن الكريم، (ص ٤٢٧) بتصرف.

(٣) سورة الشورى : آية رقم (٤٠).

(٤) سورة الأنفال : آية رقم (٣٠).

(٥) سورة التوبة : آية رقم (٧٩).

(٦) ينظر : الشوكاني: فتح القدير، (٢/ ٣٨٥)، و الآلوسي : روح المعاني (١٠ / ١٤٦).

(٧) سورة البقرة : آية رقم (١٥).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النّكال،ويحلّ بهم من الهوان والذل، وفيه أن ا هو الذي يتولى الاستهزاء انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله "[١].

الوجه الثاني: أنّ لهذا الأسلوب أثراً كبيراً في التعبئة المعنويّة لدى المسلمين ؛ حيث يمدّهم بإحدى الوسائل الفنيّة البارعة في محاربة العدو[٢]، وتحطيم الروح المعنويّة لديه، وهذا ما نلحظه في قوله تعالى – على سبيل المثال - : ((إنْ تستفتحوا فقد جاءكم الفتح))[٣] مخاطباً كفّار قريش في معركة بدر الكبرى – كما سيأتي -، فما أعظم وقع هذا الكلام على نفوسهم ؛ حيث سمّى ما لحق بهم من الهزيمة فتحاً؛ ولا يخفى ما للجانب النفسي والمعنوي من أهمّية لا تقلّ عن الإعداد المادّي، الذي أمر ا تعالى به عباده المؤمنين في مواجهة الأعداء فقال: ((وأعدّوا لهم استطعتم من قوّة ...))[٤]

رابعاً :- إرادة الإصلاح والتهذيب.

وهذا ما نلحظه حقيقة في الآيات التي يستخدم فيها أسلوب التهكم، فإنّ القرآن الكريم يسلّط الأضواء على كثير من المخالفات العقديّة والشرعيّة والأخلاقية، سواء مع الكافرين أو مع المسلمين ؛ لأنّ الغاية هي الإصلاح العام.

والمسلمون أشد حاجة إلى ذلك من غيرهم ؛ فهم قدوة الأمم ونبراسها، فلابدّ أن يكونوا على درجة عالية من الأخلاق والامتثال لأوامر ا تعالى، ولهذا فقد تهكم القرآن ببعض المخالفات التي من شأنها أن تخدش الدين، وتنتقص الأخلاق كالتكبّر والعتو، واكتناز المال ...وغير ذلك.

خامساً : التنويع في أساليب الخطاب[٥]، ولا شكّ أنّ ذلك يدل على براعة المتكلم، وقدرته في التعبير عن المراد بطرق مختلفة، ممّا يجعل الكلام أكثر جاذبيّة، وأشد تأثيرا.

سادساً :- الإقناع وإقامة الحجّة، فأحيانا يقوم التهكم على مراعاة الخصم ؛ لاستدراجه ؛ بغية إقناعه وإقامة الحجّة عليه، ومثل هذا يمكن إن نلمسه في حوار سيّدنا إبراهيم عليه السلام

---

(١) الزمخشري : الكشاف (١ / ١٨٥).

(٢) ينظر : زكريا ابراهيم : سيكلوجيّة الفكاهة والضحك (ص ٨٢)، حيث بيّن أن هذه الثمرة مترتبة على الفكاهة العدوانيّة، والتهكّم نوع منها.

(٣) سورة الأنفال : آية رقم (١٩).

(٤) نفس السورة : آية رقم (٦٠).

(٥) ينظر: عبد الحليم حفني : التصوير الساخر (ص ٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مع الأصنام وهو يخاطبها مخاطبة العقلاء قائلا: ((ألا تأكلون، ما لكم لا تنطقون))[١] وهو يعلم أنّها لا تنطق، وإنما أراد إقامة الحجة على قومه كيف نسبوا لها الألوهية، واعتقدوا فيها القدرة على النفع أو الضرر.

القسم الثاني من الأسباب : حينما يكون التهكّم مقولاً على لسان الكفّار والمنافقين ؛ تتمثّل أسبابه فيما يلي :

أولا: الكفر والعناد ؛ لقوله تعالى : ((ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثمّ أخذتهم فكيف كان عقاب))[٢]، أي : كيف كان عقابي لهؤلاء الكفّار الذين استهزءوا بالرسل[٣]، فسمّى ا تعالى الاستهزاء كفرا، كما قال سبحانه في آية أخرى : ((وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلاّ هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم ...))[٤]، قال الواحدي : يعني المستهزئين[٥]، وقال أيضاً : ((وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث ا رسولا))[٦].

فتهكّم هؤلاء ؛ جاء نتيجة مباشرة لكفرهم، كما هو واضح من الآيات.

ثانياً : النّفاق، قال ا تعالى واصفا سلوك المنافقين : ((وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزئون))[٧].

فنفاقهم هو الذي حملهم على السخرية والاستهزاء بالمؤمنين[٨]، كما هو ملاحظ من الآية.

ثالثاً : الجهل،وضعف الحجّة، وهذا مستفاد من قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام ردا على قومه: ((قالوا أتتّخذُنا هزوا قال أعوذ با أن أكون من الجاهلين))[٩] من الجاهلين، أي :

---

(١) سورة الصافات : آية رقم (٩١، ٩٢).
(٢) سورة الرعد : آية رقم (٣٢).
(٣) الشوكاني : فتح القدير (٣ / ٨٤).
(٤) سورة الأنبياء : آية رقم (٣٦).
(٥) الواحدي، علي بن محمد، ت٤٦٨هـ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط١، تحقيق : صفوان داوودي، دار القلم الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٥هـ (٢ / ٧١٥).
(٦) سورة الفرقان : آية رقم (٤١).
(٧) سورة البقرة : آية رقم (١٤).
(٨) ينظر : البيضاوي : أنوار التنزيل (١ / ١١٤)، والآلوسي : روح المعاني (١ / ١٥٨).
(٩) نفس السورة : آية رقم (٦٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من المستهزئين[١]، لأنّ الهزْءَ أثناء تبليغ أمر الله تعالى جهل[٢]، وفيه تعريض بهم ؛ أي : أنتم جاهلون ؛ حيث نسبتموني إلى الاستهزاء[٣]، واستهزاء الكافرين والمنافقين كلّه من قبيل الجهل ؛ لقيامه على مجرّد الهوى والغفلة، ومجافاة الحق، والمنطق الصحيح.

ومن هذا القبيل قوله تعالى على لسان فرعون : ((وقال فرعون ياأيّها الملأ ما علمت لكم من إلهٍ غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلّي أطّلعُ إلى إلـه موسى وإنّي لأظنّه من الكاذبين))[٤]، وهذا دليل على على أنّ فرعون كان بمكان من الجهل عظيم، وبمنزل من فهم حقائق الأشياء سافل جداً ؛ حيث ظنّ أنّ إخبار موسى عن إلـه السماء يتوقّف على اطّلاعه ووصوله إليه، وذلك لا يتأتى إلاّ بالصعود إلى السماء وهو ما لا يقوى عليه إنسان[5].

(١) البغوي : معالم التنزيل (١ / ٨٢).

(٢) أبو السعود : إرشاد العقل السليم (١ / ١١٠).

(٣) النسفي،أبو البركات، عبد الله بن أحمد، ت ٧٠١هـ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (١ / ٤٩)

(٤) سورة القصص : آية رقم (٣٨).

(5) ينظر : البيضاوي : أنوار التنزيل (٥ / ٩٣)، والشوكاني : فتح القدير (٤ / ٤٩٢)، والآلوسي : روح المعاني : (٢٠ / ٨٠ – ٨١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: عناصر التهكّم في القرآن الكريم.

يقوم أسلوب التهكم في القرآن الكريم على العناصر التالية:

أولاً : المتهكّم : وهو من يصدر منه اللفظ المراد به التهكم.

ثانياً: المتهكم عليه : وهو من يوجّه إليه التهكم ويقصد به.

ثالثاً: مادّة التهكم : وهي الصفة أو العلّة التي بني عليها التهكم.

رابعاً: الصيغة.

وقد تعددت صور ورود هذا الأسلوب في القرآن الكريم، فتتغيّر تبعا لذلك عناصر التهكم، وتفصيل ذلك: أن التهكم في القرآن الكريم صدر من أكثر من جهة، فإمّا إن يكون من قبل ا تعالى، أو أحد أنبيائه، وإمّا إن يكون صادرا على لسان الجهة المعادية، وهم الكفّار والمنافقون.

فحين يكون المتهكم هو ا تعالى، فإنّ المُتهكم عليه أحد الأصناف التالية:

١ ـ الكفّار والمشركون.

٢ ـ المنافقون.

٣ ـ بعض المسلمين.

فإذا كان المتهكّم عليه هم الكفّار والمشركين، فإنّ مادة التهكم تكون - على سبيل التمثيل - إحدى مايلي:

نسبة الولد إلى ا تعالى،التعرّض للملائكة الكرام، ادّعاء الألوهّية، جحود النعم، الجهل وقلّة البصيرة ....

ومن الآيات الواردة في هذا المجال : قوله تعالى : ((وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون))[1]، و قوله تعالى : ((وبدّلناهم بجنّتيهم جنّتين ذواتي أكلٍ خمْطٍ وأثل ...))[2]، وقوله تعالى : ((... وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيّهم يكفل مريم ...))[3]، ((وأضل فرعون قومه وما هدى))[4].

(١) سورة الزخرف : آية رقم (١٩).

(٢) سورة سبأ : آية رقم (١٦).

(٣) سورة آل عمران : آية رقم (٤٤).

(٤) سورة طه : آية رقم (٧٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا إذا كان المتهكم عليه هم المنافقين، فإنّ مادة التهكم هي إحدى ما يلي :

عداوة النبي صلى ا عليه وسلّم، النفاق، ادّعاء محبّة المؤمنين، الجبن ....

ومن الآيات الواردة في هذا المجال : قوله تعالى : ((بشّر المنافقين بأنّ لهم عذابا أليما))(١) وقوله تعالى : ((ولئن أصابكم فضل من ا ليقُولَنّ كأنْ لمْ تكنْ بينكم وبينه مودّة ...))(٢)، وقوله تعالى : ((فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت))(٣).

وإذا كان المتهكم عليه هم بعض المسلمين، فإنّ مادة التهكم إحدى ما يلي :

عدم امتثال الأوامر والنواهي، البخل واكتناز المال، العادات الجاهليّة الموروثة ....

ومن الآيات في هذا المجال : قوله تعالى : ((فأثابكم غمّا بغمّ))(٤)، وقوله تعالى : ((والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل ا فبشّرهم بعذاب أليم))(٥)، وقوله تعالى: ((أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند ا))(٦).

وحين يكون المتهكّم هو أحد الأنبياء، فإنّ المتهكم عليه هم قومه وأتباعه، ومادّة التهكم هي عبادة غير ا تعالى، وذلك مثل تهكّم سيّدنا إبراهيم على قومه في عبادتهم الأصنام، وتهكّم نوح –عليه السلام – على جهل قومه، كما في قوله تعالى : ((قال إن تسخروا منّا فإنّا نسخر منكم كما تسخرون))(٧)، أي: إن تستجهلوني فإنّي استجهلكم إذا نزل العذاب بكم(٨).

---

(١) سورة النساء : آية رقم (١٣٨).

(٢) نفس السورة : آية رقم (٧٣).

(٣) سورة الأحزاب : آية رقم (١٩).

(٤) سورة آل عمران : آية رقم (١٥٣).

(٥) سورة التوبة : آية رقم (٣٤).

(٦) سورة الأحزاب : آية رقم (٥).

(٧) سورة هود : آية رقم (٣٨).

(٨) البغوي : معالم التنزيل (٢ / ٣٨٣)، وينظر : الشوكاني : فتح القدير (٢ / ٤٩٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و حين يكون المتهكّم هم الكفّار والمشركون، فإنّ المتهكّم عليه غالباً الأنبياء، وخاصّة سيّدنا- محمد صلى ا عليه وسلّم - أو المؤمنون، وتكون مادّة التهكم : نبوّة النبيّ، أو نزول القرآن عليه،أو كلام ا تعالى، أو ذات ا تعالى، أو شرع ا ودينه، أو البعث والنشور ...

ومن الآيات في هذا المجال : قوله تعالى : ((وقالوا ياأيّها الذي نُزّل عليه الذكر إنّك لمجنون))(١)، وقوله تعالى : ((ويستنبئونك أحق هو ...))(٢)، وقوله تعالى : ((قال فرعون وما ربّ العالمين))(٣)، وقوله تعالى : ((واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا))(٤)، ((وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا))(٥)، وقوله تعالى : ((وقالوا أئذا متنا وكنّاعظاما ورفاتا أئِنّا لمبعوثون خلقا جديدا))(٦).

رابعاً : - الصيغة.

وأما صيغة التهكم، فالذي يحدّدها السياق وما يقتضيه المقام، فأحيانا يرد التهكّم بصيغة الأمر: كقوله تعالى : ((ذق إنّك أنت العزيز الكريم))(٧).

أو الاستفهام : كقوله تعالى: ((أشهدوا خلقهم))(٨) ((أهذا الذي بعث ا رسولا))(٩).

أو الإشارة: كقوله تعالى : ((وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ...))(١٠).

أو الموصول: كقوله تعالى:((وقالوا يا أيّها الذي نزّل عليه الذكر إنّك لمجنون))(١١).

أو الحصر : كقوله تعالى: ((وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات ما كان حجّتهم إلاّ إن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين))(١٢).

---

(١) سورة الحجر : آية رقم (٦).

(٢) سورة يونس : آية رقم (٥٣).

(٣) سورة الشعراء : آية رقم (٢٣).

(٤) سورة الكهف : آية رقم (٥٦).

(٥) سورة المائدة : آية رقم (٥٨).

(٦) سورة الإسراء : آية رقم (٤٩).

(٧) سورة الدخان : آية رقم (٤٩).

(٨) سورة الزخرف : آية رقم (١٩).

(٩) سورة الفرقان : آية رقم (٤١).

(١٠) نفس السورة : آية رقم (٧).

(١١) سورة الحجر : آية رقم (٦).

(١٢) سورة الجاثية آية رقم (٢٥).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو الشرط : كقوله تعالى : ((اللهمّ إنْ كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء...))[(١)].

أو المضارع المثبت: كقوله تعالى : ((يحفظونه من أمر ا ...))[(٢)].

أو الماضي المثبت : كقوله تعالى : ((فقد جاءكم الفتح))[(٣)].

أو غير ذلك ممّا يقتضيه الحال، ويتناسب مع المقام.

وبعد ؛ فإنّ هذه العناصر جاءت نتيجة استقراء الآيات التي تدلّ على التهكّم – كما أشرت في بداية هذا الفصل – ؛ وذلك لأنني لم أتمكن من الوقوف على مرجع يخدمني في هذا المجال، سوى كتاب (أسلوب السخرية في القرآن الكريم) لعبد الحليم حفني، فتناول هذا العناصر على شكل عنوانات لمباحث كتابه، مع الاختلاف الكبير في طريقة الطرح.

وقد اكتفيت هنا بذكر الآيات ؛ للتمثيل والاستشهاد، أمّا التفصيل فيها، أو فيما يماثلها، فسيأتي في الفصل الأخير – إن شاء ا تعالى -.

---

(١) سورة الأنفال : آية رقم (٣٢).

(٢) سورة الرعد : آية رقم (١١).

(٣) سورة الأنفال: آية رقم (١٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث: أساليب التهكّم وخصائصه في القرآن الكريم.

أولا : أساليب التهكّم.

تجدر الإشارة أولا، إلى أن أهل الاصطلاح توقّفوا عند تعريفهم للتهكّم على بيان صوره وأشكاله، ولم نجد في كلامهم ما يحدد معنى التهكم بدقّة، ويعود ذلك إلى طبيعة هذا الفن ّواتّساعه، وما ذكروه من تعريفات هو بحد ذاته تعداد لأساليبه وضروبه من خلال ملاحظة استعمال القرآن الكريم له، ولذلك نجدهم يقولون : وليس له ضابط يضبطه - التهكم -، وإنما الجامع لشتات معانيه، هو إخراج الكلام على ضد مقتضى الحال[١].

وبالتالي، فإنّ ما سأذكره من الأساليب، يمكن أن يشكّل القسم الأكبر، لكن لا يمنع أن يكون هناك أساليب أخرى من الاستهزاء، ضابطها إخراج الكلام على ضد مقتضى الحال.

فمن الأساليب التي ورد استخدامها في القرآن الكريم ما يلي :

أولا: استعمال ألفاظ البشارة في موضع النذارة[٢]، ومن أبرز شواهده قوله تعالى : ((فبشّرهم بعذاب أليم))[٣].

ثانيا: استعمال ألفاظ الوعد في مكان الوعيد[٤]، ومن شواهده قوله تعالى: ((وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل ...))[٥].

ثالثاً : استعمال ألفاظ المدح، والمقصود الذمّ[٦]، ومن شواهده قوله تعالى: ((إنّك لأنت الحليم الرشيد))[٧].

---

(١) ينظر : بدر الدين بن مالك : كتاب المصباح (ص ٢٤٢) والعلوي : الطراز (٣ / ١٦٤).

(٢) هذه عبارة المصري : بديع القرآن (ص ٢٨٣) أما العلوي فجعل هذا النوع شاهدا لما ورد للوعيد بلفظ الوعد، ينظر : الطراز (٣ / ١٦٢) وسمّاه ابن معصوم (البشارة في موضع التحذير) ينظر: أنوار الربيع (٢ / ١٨٥).

(٣) سورة آل عمران : آية رقم (٢١).

(٤) المصري : بديع القرآن (ص ٢٨٣) والعلوي: الطراز (٣ / ١٦٢) وابن معصوم : أنوار الربيع (ص ٢/ ١٨٥) وأما ابن مالك فجمعهما في وجه واحد فقال: الوعد والبشارة في مقام الوعيد والإنذار، ينظر : المصباح (ص ٢٤٢).

(٥) سورة الكهف: آية رقم (٢٩).

(٦) ينظر : العلوي : الطراز (٣/ ١٦٢) وعبّر عنه المدني بلفظ: المدح في معرض السخرية : ينظر : أنوار الربيع (٢/ ١٨٥).

(٧) سورة هود : آية رقم (٨٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعاً : استعمال ألفاظ الإجلال في موضع التحقير[١]، ومن شواهده قوله تعالى: ((ذق إنّك أنت العزيز الكريم))[٢].

خامساً : استعمال ما يدلّ على العذر في موضع اللّوم[٣]، ولم يستشهدوا له من كتاب ا تعالى، وربّما كان من هذا القبيل قوله تعالى : ((أشهدوا خلقهم ...))[٤]كما سيأتي بيانه، فكأن الظاهر التماس العذر لهؤلاء فيما قالوه من نسبة الأنوثة إلى الملائكة ثمّ ادعاء أنها بنات ا سبحانه وتعالى، مع أن المراد اللوم والتوبيخ الشديد على ذلك.

سادساً : ما ورد على جهة التقليل والمراد التكثير، أو يخرج مخرج الشكّ والمراد التحقيق[5]، واستشهدوا لذلك بقوله تعالى: ((قد يعلم ا المعوّقين...))[٦] وقوله تعالى: ((قد يعلم ما أنتم عليه...))[٧] وقوله تعالى: ((قد نعلم إنّه ليحزنك ...))[٨]وقوله تعالى: ((ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين))[٩].

وقد اعترض على هذا الوجه أحد المعاصرين، وهو الدكتور أسامة البحيري، فيستبعد دلالة التهكّم في هذه الشواهد، ويرى إمكان عدّها من أنواع عكس الظاهر[١٠] في الأسلوب الخبري

---

(١) أورده ابن معصوم هكذا وجها منفصلا، ينظر : أنوار الربيع (٢/ ١٨٥) ويلاحظ أن هذا الوجه قريب جدا من الوجه الذي قبله، فيمكن اعتبارهما وجها واحدا.

(٢) سورة الدخان : آية رقم (٤٩).

(٣) هذا الوجه من زيادات المدني، ينظر نفس المرجع (١٨٥/٢).

(٤) سورة الزخرف: آية رقم (١٩).

(٥) ينظر: ابن مالك : المصباح(ص ٢٤٢) والعلوي : الطراز (٣/ ١٦٣).

(٦) سورة الأحزاب : آية رقم (١٨).

(٧) سورة النّور : آية رقم (٦٤).

(٨) سورة الأنعام : آية رقم (٣٣).

(٩) سورة الحجر : آية رقم (٢).

(١٠) عكس الظاهر : أسلوب ظاهره يثبت شيئا، وباطنه ينفي هذا الشيء، فالإثبات يسبق إلى الذهن عند سماع الأسلوب، ثم يأتي النفي بعد تفكر وتأمل، مثل قوله تعالى : ((ولا تكونوا أول كافر به)) سورة البقرة : (٤١)، فليس المقصود لهم بالنهي الأول أن يكونوا ثاني الكافرين ... أو ثالثهم، ولكن المقصود ألاّ يكفروا، وفيه تعريض بمن يسارعون في الكفر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المثبت، واستشهد بكلام ابن المنّير، إن هذا من المواضع التي تبالغ العرب فيها بالتعبير عن الشيء بضد عبارته[(١)].

وقد تعقبت كلام ابن المنّير فوجدته يقول عند تفسير قوله تعالى: ((ربما يود الذين كفروا...)) " لا شكّ أن العرب تعبّر عن المعنى بما يؤدي عكس مقصوده كثيرا ... وقد وجّه بعضهم ذلك بأن المقصود من ذلك الإيذان بأن المعنى قد بلغ الغاية حتى كاد أن يرجع إلى الضدّ ... والمراد المبالغة بنوع من الإيقاظ إليها ... "[(٢)].

وقد أشار أبو السعود - رحمه ا - إلى هذا المعنى من قبل وعبّر عنه بوضوح عند تفسير الآية السابقة حيث قال:" المراد بيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة، وإنما جيء بصيغة التقليل جريا على سنن العرب فيما يقصدون به الإفراط فيما يعكسون عنه، نقول لبعض قوّاد العساكر: كم عندك من الفرسان ؟ فيقول : ربّ فارس عندي، أو لا تعدم عندي فارسا ... وعنده مناقب جمّة من الكتائب، وقصده في ذلك التماري في تكثير فرسانه، ولكنّه يريد إظهار براءته من التزيّد و إبراز أنّه ممّن يقلل لعلوّ همّته ... وهذه طريقة إنّما تسلك إذا كان الأمر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب... "[(٣)].

ومثل هذا قاله عند تفسيره لقوله تعالى: ((قد نعلم إنّه ليحزنك الذي يقولون...))[(٤)،(٥)].

وهذا الكلام من أبي السعود واضح لا يحتاج إلى تفسير، ويؤيّد ما ذهب إليه البحيري من إن المراد المبالغة لا التهكم.

ويضاف إلى هذا أنّ (ربّ) ترد للتكثير كثيرا وللتقليل قليلا، وجعل ابن هشام تلك – الآية التي في سورة الحجر(٦) - من النوع الأول وهو التكثير[(٦)]، وبالتالي فلا يبقى للتهكّم فيها مجال، إذ إن الكلام صار على الحقيقة وموافقا لمقتضى الحال.

---

(١) البحيري، أسامة: تحوّلات البنية في البلاغة العربيّة،ط١، تقديم :د. محمد عبد المطلب، دار الحضارة، ٢٠٠٠م، (ص ٤٦٦-٤٦٧) بتصرّف.

(٢) ابن المنّير، أحمد بن محمد، ت ٦٨٣هـ، : الانتصاف فيما تضمنه الكشّاف من الاعتزال،حاشية على الكشّاف للزمخشري (٣/ ٣٩٦ –٣٩٧) سبق ذكره.

(٣) أبو السعود: إرشاد العقل السليم (٥ / ٦٤).

(٤) سورة الأنعام : آية (٣٣).

(٥) ينظر : المرجع نفسه (٣ / ١٢٦).

(٦) ينظر : ابن هشام، جمال الدين، ت ٧٦١هـ، : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، طبعة جديدة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٢هـ،(١ / ١٥٤)، وهذا القول هو الذي اختاره ابن هشام، ذلك لأن للعلماء مذاهب أخرى في معنى (ربّ)، ينظر نفس الجزء والصفحة لابن هشام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما(قد) في مثل قوله تعالى: ((قد يعلم ما أنتم عليه))[١] فالمراد منها التقليل، لكن لا تقليل وقوع الفعل، بل تقليل متعلّقه،أي: ما هم عليه هو أقل معلوماته سبحانه وتعالى[٢].

ولمّا كان ذلك كذلك فلا تهكّم في الآية،هذا ما أميل إليه موافقا بذلك ما قاله البحيري، ومخالفا ابن حمزة العلوي، وابن معصوم، وا تعالى أعلم.

ثانياً : خصائص أسلوب التهكّم في القرآن الكريم.

يمتاز أسلوب التهكّم في القرآن الكريم بالصفات التالية:

أولا: الإيجاز[٣]،[٤]، حيث إن اللفظة الواحدة المستخدمة في التهكّم، تحمل من المعاني والدلالات الشيء الكثير، وتوفر جملةً من الكلام في كلمة واحدة، ولو أخذنا كلمة الفتح في قوله تعالى : ((فقد جاءكم الفتح))[٥] مخاطبا كفّار قريش، لوجدنا أن هذا اللفظ ههنا يثير جملة من المعاني والتصوّرات، ويبعث على التساؤل، كيف كانت الهزيمة التي لحقت بهؤلاء فتحا، ولم سمّاها ا بذلك، وكيف استطاع القرآن أن يحوّل كلّ ما لحق بهم من قتل وأسر وضياع أموال إلى نصر، ثمّ ما الذي فعله هؤلاء حتى يقال لهم ذلك، أما كان بالإمكان أن يكتفي القرآن بعدم

استجابة استفتاحهم ؟ إن هذه التساؤلات وغيرها ممّا يحمله لفظ الفتح في طيّاته ههنا، وهذا من الإيجاز ما لا غاية وراءه.

ثانياً : العفّة والطهارة[٦]؛ فلا نجد في تهكّم القرآن ما قد نجده في تهكّم ؛ البشر من الإقذاع،والإفحاش، وسقط الألفاظ ؛ ذلك لأنّ القرآن هو من صفات ا تعالى، وا سبحانه منزّه عن كلّ نقص وعيب، ونزّه كتابه عن كلّ ما ينفّر ؛ ليكون كتاب دعوة وهداية.

---

(١) سورة النّور : آية رقم (٦٤).

(٢) ينظر : نفس المرجع (١/ ١٩٧)، وبالمناسبة،فإن : نفس هذا الحرف يرد على وجهين : بمعنى الرف، وبمعنى الاسم، ولها عدّة معانٍ، ينظر : نفس المرجع (١ / ١٩٣-١٩٧).

(٣) الإيجاز : هو تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، ويكون على وجهين : حذف وقصر، ينظر : الرمّاني : النكت في إعجاز القرآن (ص٦٣) ضمن ثلاث رسائل.

(٤) ينظر : عبد الحليم حفني : أسلوب السخرية في القرآن الكريم (ص ١١٦) فما بعدها، و د.زكريا إبراهيم : سيكولوجيّة الفكاهة والضحك (ص١٥٤) فقد نقل عن شكسبير إن الإيجاز هو روح الدعابة وجوهر الفكاهة، والتهكم نوع من الفكاهة.

(٥) سورة الأنفال : آية رقم (١٩)

(٦) ينظر : عبد الحليم حفني : التصوير لساخر (ص ٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً : السموّ والتعالي ؛ حيث إنّ القرآن الكريم لا يلتفت في تهكمه إلى سفاسف الأمور وسقطها، بل إنّه يعالج قضايا جوهريّة ومفصليّة تمسّ حياة الإنسان، وتشكل عاملا أساسيا في طبيعة وجوده في هذا الكون، ولا ينزل تهكّمه إلى المستوى البشري الذي يحمل في طيّاته أحيانا طابع الغلّ والحقد الشخصيّ[١].

رابعاً : تنمية العقل وزيادة حدّة الذكاء ؛ ذلك لأن علماء النفس اثبتوا بالبحوث والتجارب إن هناك ارتباطا وثيقا بين الحسّ الفكاهي وبين الذكاء – والتهكم من أبرز أنواع الفكاهة –فكلّما ازدادت نسبة الذكاء كان الإحساس بالفكاهة أقوى[٢]، وبالتالي فإنّ الدعوة المتكررة للتفكّر والانتباه التي يثيرها الأسلوب القرآني المتهكم، من شأنها أن تجعل العقل أكثر فطنة، وأشد حساسيّة في التعامل مع المواقف المتعددة، ذلك لأنّ التهكّم ينطوي على ما تنطوي عليه الفكاهة إجمالا ؛ من الذكاء، وسرعة البديهة[٣]، ويدعو إلى التخلّص من التحجّر والجمود الذي لا يليق بالآدمي[٤].

خامساً : التنزّه عن العبث واللهو ؛فلا نجد القرآن ولو لمرّة واحدة يقصد من التهكّم مجرّد الضحك، على نحو ما قد نجده في أساليب البشر، إذ إنّ ذلك ضرب من العبث، والقرآن كلّه منزّه عن العبث.

---

(١) ينظر : عبد الحليم حفني : أسلوب السخرية (ص ١٢١).

(٢) زكريا ابراهيم : سيكلوجية الفكاهة والضحك (ص ٢٠٧-٢٠٨) بتصرّف.

(٣) المرجع نفسه (١٧٠) بتصرّف.

(٤) المرجع نفسه (ص ٧١) بتصرّف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الرابع :أغراض التهكّم في القرآن الكريم.

يمكن أن نقسّم أغراض التهكّم في القرآن إلى قسمين :

القسم الأوّل: يعود إلى الناحية البلاغيّة، وما يتركه التهكّم من أثر في بيان المعنى.

القسم الثاني: يعود إلى الهدف العام للقرآن الكريم، والمتمثّل في الهداية والدعوة إلى ا تعالى.

فممّا يندرج تحت القسم الأول ما يلي:

أولاً : التأكيد، وتمكين المعنى[١]، كما في قوله تعالى حكاية عن الكفّار والمنافقين : ((فبشّرهم بعذاب أليم))[٢]فجاء التعبير بالبشارة وموضعها الخير، في سياق الشدّة والعناء ؛ والغرض تأكيد وقوع العذاب[٣].

ثانياً: التوضيح والتفسير[٤]؛ ومن هذا القبيل قوله تعالى حكاية عن الكفّار: ((وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمان إناثا...))[5]فإنّ هذا يدلّ على الجهل العظيم، إذ أنّهم نطقوا بما لا سبيل لهم إلى معرفته، ولا أثارة لهم به من علم، ويوضّح ذلك الصورة المتهكمة في قوله تعالى: ((... أشهدوا خلقهم...))[٦] فإنّ ما نطقوا به لا سبيل إلى معرفته إلاّ المشاهدة المستحيلة، فلا يقدم على قول مثل هذا إلاّ جاهل أعمى البصيرة.

ثالثاً: التنبيه وإثارة الاهتمام[٧] ؛ كما في قوله تعالى: ((ذق إنّك أنت العزيز الكريم))[٨]

فإنّ الوصف بالعزّ والكرامة، مع الأمر بذوق العذاب، والسياق كلّه سياق عذاب، أمر ملفت للنظر ويبعث على التفكّر والانتباه، لما كان ذلك كذلك.

---

(١) ينظر: المرّاكشي، ابن البنّاء : الروض المريع في صناعة البديع (ص ١٢٠) مرجع سابق.

(٢) سورة آل عمران : آية رقم (٢١).

(٣) ينظر : د. محمد حسين الصغير : مجاز القرآن، خصائصه الفنية والبلاغيّة،١٤٢٠هـ، ط١، دار المؤرخ العربي، بيروت، (ص ١٥٣).

(٤) ابراهيم علاّن : البديع في القرآن أغراضه ووظائفه، ٢٠٠٢م، ط١، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة،، (ص ٤٧٦).

(5) سورة الزخرف: آية رقم (١٩).

(٦) نفس الآية.

(٧) ينظر: ابن مالك : كتاب المصباح (ص ٢٤٢) وابراهيم علاّن : البديع في القرآن (ص ٤٦٧).

(٨) سورة الدخان : آية رقم (٤٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعاً : الاستبعاد، ومن شواهده قوله تعالى: ((وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم))[١] فان طلبهم للعذاب ليس على حقيقته، وإنما لاستبعاد إن يكرم ا تعالى نبيّه –صلى ا عليه وسلّم – بإنزال القرآن عليه، على حدّ زعمهم حسدا من عند أنفسهم[٢].

خامسا: التهديد والتهويل[٣]، كما في قوله تعالى : ((فنزل من حميم))[٤]فإنّ جعل الحميم نزلا فيه من التهديد ما لا يوصف لما يوحيه من العذاب الأليم، فإذا كان أول ما يلاقونه الحميم فكيف بما وراءه.

سادساً : التحقير، نحو قوله تعالى على لسان كفّار قريش: ((أهذا الذي بعث ا رسولا))[٥]فالاستفهام ليس على الحقيقة، وإنّما من باب التهكم، ومرادهم تحقير شأن النبي صلى ا عليه وسلم[٦]، وحاشاه.

سابعاً : التنبيه على الوهم والحمق، نحو قوله تعالى : ((له معقّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر ا ...))[٧] فإنّ من فسّر المعقبات ههنا بالحرس ؛ جعل ذلك من باب التهكم[٨]، والغرض منه الدلالة على الحمق والوهم[٩]، فإنّ هذه الأعوان لا تنجي محروسها من أمر ا .

ثامناً : التقريع، نحو قوله تعالى: ((ذق إنّك أنت العزيز الكريم))[١٠] فليس المراد بالأمر ههنا التكريم، وإنما التهكم لتقريع هذا الطاغية على ما كان يدّعيه في الدنيا من العزّة والكرامة بغير الحق[١١].

---

(١) سورة الأنفال:آية رقم (٣٢).

(٢) ابن عطيّة: المحرر الوجيز (٨/ ٥١) بتصرف.

(٣) إبراهيم علان : البديع في القرآن الكريم (ص ٥٢٨).

(٤) سورة الواقعة : آية رقم (٩٣).

(٥) سورة الفرقان : آية رقم (٤١).

(٦) ينظر : الزركشي : البرهان (٢/ ٣٤٣).

(٧) سورة الرعد : آية رقم (١١).

(٨) ينظر : الزمخشري : الكشاف (٣ / ٣٤٣) والزركشي : البرهان (٢/ ٢٣٢).

(٩) ينظر للاستئناس : الهوّال،حامد : السخرية في أدب المازني (ص ٤٨) سبق ذكره.

(١٠) سورة الدخان : آية رقم (٤٩).

(١١) ينظر: ابن عطيّة : المحرر الوجيز (١٤/ ٣٠٠).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وممّا يندرج تحت القسم الثاني، أي من حيث الهدف العام للقرآن الكريم وهو الدعوة والهداية، فيتمثّل فيما يلي:

أولا: تسلية النبيّ - صلى ا عليه وسلّم -، والتخفيف عن المسلمين، كما في قوله تعالى : ((ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون))[(١)]

ثانيا: قمع الكافرين، والرد عليهم، وقطع أطماعهم في النيل من هذا الدين، كما في قوله تعالى : ((ا يستهزئ بهم ...))[(٢)]

ثالثا: إبراز مدى عداوة الكفّار والمنافقين للنبيّ - صلى ا عليه وسلّم - وللمسلمين، كما في قوله تعالى : ((وإذا رأوك إنْ يتخذونك إلاّ هزوا))[(٣)]، وقوله تعالى عن المنافقين: ((وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزئون))[(٤)]

رابعا: تنقية المجتمع الإسلامي من الرذائل والمفاسد، مثل قول ا تعالى في حق الكانزين للمال : ((فبشّرهم بعذاب أليم))[5].

خامسا: يُعد التهكم مصدراً للشعور بالعزّة والنصرة لدى المؤمنين[(٦)].

---

(١) سورة الأنبياء : آية رقم (٤١).

(٢) سورة البقرة : آية رقم (١٥).

(٣) سورة الفرقان : آية رقم (٤١).

(٤) سورة البقرة : آية رقم (١٤).

(٥) سورة التوبة : آية رقم (٣٤).

(٦) ينظر هذه الأغراض : عبد الحليم حفني : أسلوب السخرية في القرآن لكريم (ص ٥١ – ٧٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الخامس: الأثر البلاغي لأسلوب التهكم في القرآن الكريم.

القرآن الكريم كلّه في درجة واحدة من الفصاحة والبلاغة، مهما تعددت موضوعاته، وتنوّعت أساليبه في التعبير ؛ ضرورة أنّه كتاب ا تعالى، الذي أعجز الإنس والجنّ أن يأتوا بسورة من مثله.

والتهكّم يمثّل أسلوبا بارزاً من أساليب التعبير القرآني، ووجوه مخاطباته، فلا بدّ وأن يكون له أثره البلاغي، وهذا ما نبّه إليه العلوي في حديثه عن التهكم فقال : " وله موقع عظيم في إفادة البلاغة والفصاحة "[١].

وإذا كانت البلاغة : مطابقة الكلام لمقتضى الحال[٢]؛ فلا غرو أن يكون التهكم من أساليب القرآن – ضرورة أنّه أعلى طبقات البلاغة –؛ لما لهذا الأسلوب من فاعليّة هادفة في النّفس، تؤثّر فيها ؛ فتحرّك مكنوناتها، وتستثير ملكاتها ؛ فيتحقق المقصود، ولا يتحقق هذا إلاّ باختيار أحسن الألفاظ المعبّرة، والمؤثرة في أعماق النّفس، وهذا مدلول قوله تعالى : ((وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً))[٣]، أي: قولاً مؤثراً واصلاً إلى كنه المراد مطابقا لما سيق من المقصود[٤].

ثمّ إنّ التهكّم من الأساليب الموجّهة إلى النّفس ؛ فيحدث فيها ما لا يحدثه ضرب السيوف ؛ إذ لا شيء يهزّ كيان الشخص، ويحطم من قوّته المعنوية شعوره بأنّه أصبح سخرية لأحد [٥].

وقد أشار القرآن إلى ذلك الأثر الذي يتركه التهكّم في نفس الشخص المتهكّم عليه، وكيف يصل به إلى حالة من الضيق عظيمة، فقال ا تعالى: ((ولقد نعلم أنّك يضيق صدرك بما يقولون))[٦]،أي : ما يقولون من الشرك، والطعن في القرآن، والاستهزاء بك[٧]، وقد أكّد ا

(١) العلوي : كتاب الطراز (١٦٢/٣) سبق ذكره.

(٢) ينظر : القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة (١ / ٨٦) سبق ذكره.

(٣) سورة النساء : آية رقم (٦٣).

(٤) أبو السعود : إرشاد العقل السليم (٢ / ١٩٦).

(٥) عبد الحليم حفني (التصوير الساخر (ص ٢٤) بتصرّف، مرجع سابق.

(٦) سورة الحجر : آية رقم (٩٧).

(٧) ينظر : البيضاوي : أنوار التنزيل (٣ / ٣٨٣)، وابن كثير، إسماعيل بن عمر، ت ٧٧٤ هـ، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ (٢ / ٤٤٠).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعالى هذا الضيق ؛ لشدّته بعدّة مؤكّدات : اللام، وقد، والنّون المشدّدة، والفعل المضارع، بالإضافة إلى لفظ الضيق نفسه.

وقد كثر استعمال القرآن الكريم لهذا الأسلوب مع أعداء ا تعالى، خاصّة في القضايا الكبرى ؛ كالوحدانية، والنبوّة، والبعث ... والتي كان إنكارها متأصلا فيهم، ويعتقدون أنّهم الأصحّ منهجاً ؛ فأراد ا تعالى أن ينبههم على فساد عقائدهم، وسذاجة مسالكهم،عن طريق هذا الأسلوب.

أمّا الوجه الأخر في أثر التهكم البلاغي ؛ فمن جهة أنّه كثيراً ما يرد على سبيل الاستعارة، والاستعارة لها أثر كبير في القدرة على التخييل والإيحاء ؛ حيث إنّ تركيبها يدلّ على تناسي التشبيه ؛ فيتخيّل السامع صورة جديدة رائعة تنسيه ما تضمنه الكلام من تشبيه مستور[1].

فحين نسمع قوله تعالى وهو يخبر عمّا أعدّ للكافرين من ألوان العذاب في الآخرة حيث يقول: ((وظلّ من يحمومٍ))[2]، فإنّ هذه الاستعارة للظلّ، ونسبته لليحموم – دخان جهنّم الأسود الحارّ – تفتح المجال واسعاً ؛ كي يتخيّل الإنسان طبيعة هذا الظلّ، وكيف يكون ؟ وهل فيه ما في الظل من البرودة والراحة ؟ وإذا لم يكن كذلك، فلماذا يسمّيه ا ظلاًّ ؟ وهو لا يقل أذى عن جهنّم؟ فكيف سيكون حالهم وهم يستظلون بهذا اللّهب ؟ ثمّ ما جرم هؤلاء حتى يعدّ لهم مثل ذلك ؟، إنّ مثل هذه الأسئله والتصوّرات وغيرها، ممّا توضّحه صورة التهكّم ههنا ؛ فتحرك مكنوناتِ النفوس، وتلهب مشاعرها، وتستثير كوامنها ؛ فتكون أقوى في الدلالة، وأعمق في التأثير، وهذه هي البلاغة.

---

(١) الهاشمي، أحمد : جواهر البلاغة (ص ٣٦٦) بتصرّف، مرجع سابق، و ينظر : أبو العدوس، يوسف، البلاغة العربيّة، ٢٠٠٤م، (ص ٢١٤).

(٢) سورة الواقعة : آية رقم (٤٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقيّة (تحليل أسلوب التهكم في القرآن الكريم).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد:

يأتي هذا الفصل تطبيقا عمليا لما سبق ذكره في بيان مفهوم التهكم في القرآن الكريم من حيث أسبابه،وأغراضه، وأساليبه،وخصائصه، وعناصره، وأثره البلاغي.

وقد حاولت الوقوف على أكبر قدر ممكن من الآيات التي ورد فيها هذا الأسلوب، مع مراعاة المواضع المتشابهة، إمّا بالاقتصار على موضع واحد ؛إذا كان يغني عن ذكر غيره، أو جمع الآيات المتشابهة في موضع واحد، ثمّ شرحها مجتمعة ؛ تجنّبا للتكرار.

ويبدو أنّ من المناسب أن أضع بين يدي القارئ، ما يشبه التلخيص للألفاظ، أو الصور التي ورد عليها التهكّم في الآيات التي سيتمّ ذكرها، ممّا يشكّل مدخلا حسنا لهذا الفصل.

وهذه الصور : منها ما يفهم من اللفظ نفسه، ومنها ما يفهم من سياق الآية ومساقها، وهي كما يلي، استنتاجا من الآيات التي سيتم شرحها :

(وصف الأصنام بالشهداء، وصف الكفر بالإيمان، التبشير بالعذاب، نفي المقطوع بنفيه، الإثابة بالغمّ، قتل النبي مع الاعتراف بنبوّته،وصف الدلالة على جهنّم بالهداية، إخراج المستحيل بصورة الممكن، تسمية الهزيمة فتحا، طلب العقوبة على الفعل واعتقاد ضدّه، الاستخبار عن الشيء مع اعتقاد عدمه، تسمية جهنّم موردا، ومأوى، ومهادا، ونزلا، تسمية اللعنة رفدا، إخراج الهزل بصورة الجد، تسمية المهل غوثا، المفاضلة في غير مقام التفضيل، إثبات ما لا يحتاج إلى إثبات، تسمية الباطل برهانا، ترتيب سوء العاقبة على حسن المقدّمة، وصف الغثّ بالسمين، إخراج المعلوم بصورة المجهول، الاستفتاء عن إمكان وقوع الفعل مع القطع باستحالته، تسمية الذلّ والإهانة عزّة وكرامة، تسمية الواهي حجّة، تسمية الذلّ خشوعا).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضع الأول: في قوله تعالى: ((وإن كنتم في ريب ممّا نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون ا إن كنتم صادقين))[١].

موطن الشاهد في الآية، قوله تعالى : ((وادعوا شهداءكم من دون ا)) وبيان ذلك : أن الشهداء : جمع شهيد : فعيل بمعنى فاعل، من شهد إذا حضر، وأصله الحاضر، قال تعالى : ((ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا))[٢]، ثمّ استعمل هذا اللفظ فيما يلازمه الحضور مجازا أو كناية لا بأصل وضع اللفظ[٣]، والشهادة إنما تسمى شهادة إذا كانت صادرة عن علم حصل بالمشاهدة بصيرة أو بصر[٤].

والمقصود بالشهداء في هذه الآية : إما آلهتهم من الأصنام، أو كل من شهد وحضر من شهيد أو نصير[٥]، وعلى الوجه الأول، فإنّ أمرهم بأن يستظهروا في معارضة القرآن الكريم بالجماد فيه من التهكم ما لا يوصف [٦]، فهؤلاء الكفرة من عادتهم أن يهرعوا إلى آلهتهم المزعومة في كلّ ملمّة أو كرب يحل بهم، ولا كرب أشد عليهم من معارضة القرآن الكريم، فا تعالى يأمرهم أن يستصرخوا هذه الآلهة في هذه الضائقة العظيمة التي حلّت بهم ؛ لعلّها تقدم لهم العون والمساعدة، كأنّه يقول : هؤلاء أعوانكم وملاذكم، مع أنّه سبحانه يعلم أنّ هذه الآلهة لا تنفع ولا تضرّ، ولا تقدر على مثل ذلك، لكنّه سبحانه جعلهم في حكم من يرجع إليه ويستغاث به في النوائب ؛ لإثارة السخرية والاستهزاء بهذه العقيدة الفاسدة التي يعتقدونها، وللتأكيد على عدم أحقّيّة هذه الأصنام بالعبادة، إذ أنّها تتخلى عن عبّادها وهم في أمسّ الحاجة إليها، وما أقبح صورة إنسان أكرمه ا بالعقل، وهو يستنطق جمادا يطلب منه العون فيما لا تستطيع أساطين المناطقة أن تأتي به.

---

(١) سورة البقرة : آية رقم (٢٣).

(٢) نفس السورة : آية رقم (٢٨٢).

(٣) ابن عاشور : التحرير والتنوير (١/ ٣٣٩).

(٤) الراغب الأصفهاني : مفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيّد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، (ص ٢٦٨) باب شهد.

(٥) ينظر: ابن عطيّة : المحرّر الوجيز (١/ ٢٠٢)،والرازي، محمد بن عمر، ت ٦٠٦ هـ، : مفاتيح الغيب، ط٢، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤١٧هـ، (١/٣٥٠).

(٦) ينظر :أبو السعود: إرشاد العقل السليم (٦٦/١)، وأمّا على الوجه الثاني فلا تهكم في الآية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضع الثاني :قوله تعالى : ((وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوّة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين))[١].

موطن الشاهد : قوله تعالى: ((قل بئسما يأمركم به إيمانكم)) فالتهكم في الآية بإضافة الإيمان إلى ضمير الكفّار[٢]، وكأنه سبحانه يثبت أنّ لهم إيمانا ينتفع به، ويأمرهم بهذه الأفعال، مع أنّه سبحانه وتعالى يعلم أنّه لا إيمان لهم البتّة، وأنّ الإيمان الحقّ لا يأمر بالكفر والضلال، لكنّه لمّا أراد إقامة الحجة عليهم [٣]، والإفصاح عن حقيقة ما انطوت عليه نفوسهم من الكذب، والنفاق، وادّعاء الإيمان بما أنزل ا تعالى، أخرج الكلام في صورة من له إيمان يأمره بمثل هذه المعاصي، وعلى رأسها عبادة العجل، خروجاً بالكلام عن مقتضى الحال، إذ أنّ الإيمان من شأنه أنْ يأمر بالخير وينهى عن الشرّ، لكنّه أراد بهم غاية التهكم، يقول الشهاب :" والإيمان إنّما يدعو إلى عبادة من هو غاية في العلم والحكمة، فالإخبار بأنّ إيمانهم يأمرهم بعبادة ما هو في غاية البلادة، غاية في التهكم والاستهزاء"[٤].

ونسبة الأمر إلى الإيمان ههنا ؛ لأنّه الباعث على الفعل ؛ فشبه بالآمر به كقوله تعالى : ((إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر))[5]فالمراد أنّ الإيمان يكون دلالة على صدّ الكفر والضلال وترغيبا في اتباع الهدى[٦] ... فأقام سبحانه وتعالى ذكر الأمر هنا مقام ذكر الترغيب والدلالة على طريق المجاز والاستعارة[٧].

---

(١) سورة البقرة : آية رقم (٩٣).

(٢) ينظر : أبو حيّان، أثير الدين، ت ٧٤٥هـ، عناية : صدقي محمد جميل، دار الفكر، ١٤١٣هـ، :البحر المحيط (١/ ٤٩٦) و القاسمي، جمال الدين ت ١٣٢٢هـ : محاسن التأويل، ط١، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤١٥هـ،(٣٢٩/١).

(٣) ابن عطيّة : المحرر الوجيز (١/ ٣٨٩).

(٤) الشهاب الخفاجي : عناية القاضي (٢/ ٣٣٣).

(٥) سورة العنكبوت : آية رقم (٤٥).

(٦) ينظر : الرازي : مفاتيح الغيب(١/ ٦٠٥).

(٧) الشريف الرضي: تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق وتقديم : محمد عبد الغني حسن، ط١، ١٣٧٤ هـ (ص١١٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضع الثالث : في قوله تعالى: ((إنّ الذين يكفرون بآيات ا ويقتلون النبيين بغير الحق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من النّاس فبشّرهم بعذاب أليم))(١)وقوله تعالى : ((بشّر المنافقين بأنّ لهم عذابا أليما))(٢)، وقوله تعالى : ((ويل لكل أفّاك أثيم، يسمع آيات ا تتلى عليه ثمّ يصرّ مستكبراً كأن لم يسمعها فبشّره بعذاب أليم))(٣).

في هذه الآيات ضرب من التهكم، وهو : استخدام لفظ البشارة في موضع الإنذار والوعيد، وهذا على خلاف المعهود، إذ أنّ البشارة تعني: الإخبار بما يسرّ، قال الراغب : " أبشرت الرجل وبشّرته أخبرته بسارّ بسط بشرة وجهه "(٤)، وهذا اللفظ إذا أطلق فعرفه في الخير، ويكون للشرّ إذا قيّد(٥).

فأيّ فرح، وأيّ سرور تدخله هذه البشارة على الكفار والمنافقين وهي تتضمن العذاب الأليم ؟!، فهذه اللفظة استخدمت في غير موضعها ؛ لأنّ موضعها هو الخير والسرور، كما قال ا تعالى : ((وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنّ لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار ...))(٦)، لكن ا تعالى أراد السخرية بالكفرة والمنافقين فأنذرهم بما أعدّ لهم من العقوبة على غير الطريقة المألوفة ؛ ليكون أدعى إلى توبيخهم والإنكار عليهم بما اقترفوه من المعاصي العظيمة، وليكشف عمّا انطوت عليه نفوسهم من النّفاق،والرياء، والتلبيس على المؤمنين، فهؤلاء لمّا أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، استحقّوا أن يجازيهم ا تعالى من جنس عملهم ؛ فجاء لهم بلفظ ظاهره رحمة، وباطنه عذاب وثبور، فاستعار لفظ البشارة وهي الإخبار بما يسر للإنذار، وهو الإخبار بما يسيء، فنزّل التضاد منزلة التناسب، وشبّه الإنذار بالتبشير بجامع السرور في كل، تحقيقا في التبشير وتنزيلا في الإنذار، ثمّ اشتق من التبشير : بشّر بمعنى : انذر، استعارة تبعيّة تهكميّة، وفي هذا استخفاف بعقولهم، وتعريض بقلّة بصيرتهم وسفه رأيهم(٧).

---

(١) سورة آل عمران :آية رقم (٢١).

(٢) سورة النساء: آية رقم (١٣٨).

(٣) سورة الجاثية : آية رقم (٧، ٨).

(٤) الراغب الأصفهاني : مفردات في غريب القرآن (ص٤٨)

(٥) ابن منظور : لسان العرب (٤/ ٦١) مادة بشر، وانظر : ابن عطيّة : المحرر الوجيز (٢٨٤/٤).

(٦) سورة البقرة : آية رقم (٢٥).

(٧) عبد الفتّاح لاشين : البيان في ضوء أساليب القرآن، ١٩٨٥م،ط٢، دار المعارف، (١٧٩-١٨٠) بتصرف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلمّا قال : بشّر، تهيأت نفوسهم، وامتلأت فرحا وسرورا ؛ تفاؤلا بمقتضى البشارة، وتوهموا أنه ستكون لهم الراحة والطمأنينة، على ما كانوا يظهرون ويضمرون من الكفر والنفاق، ولكن سرعان ما تنقشع هذه الغيمة، وتتلاشى الأحلام، ويتبدد الوهم، فإذا بالبشارة تأتي لهم بالعذاب الأليم الذي يحرق أبشارهم ويغير صورها.

الموضع الرابع: في قوله تعالى : ((ذلك من أنباء الغيب نُوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيّهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون))(١).

التهكم في الآية في قوله تعالى : ((وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم)) وهذا وارد في حق منكري الوحي، الذين لا يصدّقون بأنّ هذه الأخبار جاء بها محمد - صلى ا عليه وسلّم - من عند ربّه جلّ وعزّ بواسطة جبريل عليه السلام.

وأمّا صورة التهكم، فيحدّثنا عنها الزمخشري - رحمه ا - فيقول:" فإنّ قلت لم نفيت المشاهدة، وانتفاؤها معلوم بغير شبهة ؟، وترك نفي استماع الأنباء من حفّاظها وهو موهوم؟ قلت : كان معلوما عندهم علما يقينا أنّه ليس من أهل السماع والقراءة، وكانوا منكرين للوحي، فلم يبق إلا المشاهدة، وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة، فتعيّن على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي، مع علمهم بأنّه لا سماع ولا قراءة "(٢).

ويزيد أبو السعود - رحمه ا - الأمر توضيحا فيقول:" ...هو تقرير وتحقيق لكونه وحيا على طريق التهكم بمنكريه، كما في قوله تعالى: ((وما كنت بجانب الغربيّ))(٣) وقوله تعالى: ((وما كنت ثاويا في أهل مدين))(٤)، فإنّ معرفة أمثال هاتيك الحوادث والواقعات إمّا المشاهدة و إمّا السماع، وعدمه محقق عندهم، فيبقى احتمال المعاينة المستحيلة ضرورة قضت التهكم بهم"(٥).

فكأنّه سبحانه يقول : إنّ رسولنا يخبركم بما لا سبيل إلى معرفته بالعقل، مع اعترافكم بأنّه لم يسمعه ولم يقرأه، وتنكرون أنّه من الوحي، فلم يبق مع هذا ما يحتاج إلى النفي سوى المشاهدة التي هي من أظهر الأمور انتفاء لاستحالتها المعلومة عند جميع العقلاء(٦).

---

(١) سورة آل عمران : آية رقم (٤٤).

(٢) الزمخشري : الكشّاف (٥٧٧/١).

(٣) سورة القصص : آية (٤٤).

(٤) نفس السورة :آية رقم (٤٥).

(٥) أبو السعود : إرشاد العقل السليم (٢/ ٣٦).

(٦) ينظر: الآلوسي : روح المعاني (٣/ ١٥٨) والرازي : مفاتيح الغيب،(٨/ ٢١٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي ذلك كمال الاستخفاف بعقولهم والسخرية بهم، كيف زاغت أبصارهم عن الحق وهو أوضح من القمر ليلة البدر وأنصع من الشمس في رابعة النهار.

الموضع الخامس:في قوله تعالى : ((إذ تصعدون ولا تلوُن على أحدٍ والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غمّا بغم ...))[١].

التهكم في الآية في قوله تعالى : ((فأثابكم غمّا بغمّ)) فإنّ في ذلك ضربا من التهكم وهو إيراد لفظ الثواب، وهو من ألفاظ الوعد في سياق العقوبة، وبيان ذلك أنّ الثواب : هو ما يرجع إلى الإنسان من جزاء عمله، وعرفه في الخير، وقد يرد في الشرّ أيضا[٢]، فإذا حمل اللفظ على الشرّ، أي أنّ ا تعالى جازاهم على أعمالهم غمّا ؛ فليس في الآية تهكم.

أمّا إذا حمل اللفظ على المشهور في العرف، وهو استخدامه في الخير، فيكون ذلك واردا على جهة التهكم، فجعل مكان ما يرجون من الثواب الغمّ[٣]، فسميّت العقوبة التي نزلت بهم ثوابا على سبيل المجاز[٤]، إذ أنّ الغمّ[٥] لا يسمّى ثوابا، ولكنه خرج بالكلام عن مقتضى الحال لغاية التهكم.

الموضع السادس: في قوله تعالى : ((...وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول ا ...))[٦].

موطن الشاهد : قوله تعالى : ((رسول ا)) فهذه الصفة صادرة إمّا من ا تعالى لمدح عيسى عليه السلام ورفع محلّه، وإظهار جراءتهم في تصديهم لقتله، وإمّا أنْ تكون صادرة من قومه على سبيل التهكم، وبيان ذلك ؛ أنّ هذا اللفظ مشعر بأنهم مؤمنون ومصدقون بأنّه رسول، لكن ذلك لا يستقيم مع قتلهم له، ممّا يدل على أنّ الكلام ليس مقصودا على الحقيقة، وإنّما أرادوا

---

(١) سورة آل عمران آية رقم (١٥٣).

(٢) ينظر : الراغب الأصفهاني : مفردات في غريب القرآن (٨٣) ثوب.

(٣) ينظر : النيسابوري، نظام الدين، ت ٧٢٨هـ، : غرائب القرآن ورغائب الفرقان،ط ١، ضبط وتخريج : زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ، (٢/ ٢٨٢)

(٤) صدّيق حسن خان : فتح البيان في مقاصد القرآن (٢/ ١٥٠) وابن عطية : المحرر الوجيز (٣/ ٣٧٥).

(٥) الغمّ : هو واحد الغموم، تقول غمّه فاغتم، وتقول : غمّه أي غطاه، والغمّة : الكربة، انظر : الرازي : مختار الصحاح (١/ ٢٠١) غمم،وابن منظور : لسان العرب (١٢/ ٤٤٢) غمم

(٦) سورة النساء: آية رقم (١٥٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستخفاف به، فأخرجوا الكلام في صورة المصدق المؤمن برسالة عيسى عليه السلام، وهم في غاية التكذيب والإنكار، ولذلك فقد نظم ا كلامهم هذا في سلك سائر جناياتهم التي نعيت عليهم، ليس لمجرد كونه كذبا، بل لتضمنه الابتهاج بقتل النبي عليه السلام والاستهزاء به[١].

وهذا أمر معتاد من كلام الكفار في تكذيب الأنبياء والاستخفاف بهم كقوله تعالى على لسان فرعون في حق موسى – عليه السلام - :((إنّ رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون))[٢]وقوله تعالى على لسان كفار قريش في حق سيّدنا محمد – صلى ا عليه وسلم - :((وقالوا يا أيّها الذي نُزل عليه الذكر إنّك لمجنون))[٣] فليس مقصودهم من ذلك الاعتراف بالنبوة والرسالة، وإنّما لإرادة السخرية والاستهزاء، إذ لا يستقيم الاعتراف بالرسالة ونزول الذكر مع الوصف بالجنون.

الموضع السابع:في قوله تعالى : ((ولئن أصابكم فضل من ا ليقُولن كأنْ لم تكن بينكم وبينه مودّة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما))[٤].

التهكم في الآية واقع في الجملة المعترضة، وهي قوله تعالى ((كأن لم تكن بينكم وبينه مودّة)) يقول الرازي - رحمه ا - : " وهذا اعتراض وقع بين قولين، وهو في غاية الحسن، بيانه أنّه تعالى حكى عن هذا المنافق أنّه إذا وقع في المسلمين نكبة ؛أظهر السرور الشديد ؛ بسبب أنّه كان متخلفا عنهم، ولو فازوا بغنيمة، ودولة أظهر الغمّ الشديد ؛ بسبب فوات تلك الغنيمة، ومثل هذه المعاملة لا يقدم عليها الإنسان إلا في حقّ الأجنبي العدو؛ لأنّ من أحبّ إنسانا ؛ فرح عند فرحه، وحزن عند حزنه، فأمّا إذا انقلبت هذه القضيّة فذلك إظهار للعداوة ... و المراد التعجب كأنّه تعالى يقول : انظروا إلى ما يقول هذا المنافق : كأنّه ليس بينكم أيّها المؤمنون وبينه مودّة ولا مخالطة أصلا، وهذا هو المراد من كلامهم"[٥].

ولذا فإنّ ذكر المودة هنا منفية في سياق التشبيه : تهكم بالمنافقين ؛ لأنهم كانوا أعدا عدو للمؤمنين، وأشدهم حسدا لهم، فلا يوصفون بالمودّة إلاّ على سبيل التهكم.

يقول أبو السعود : " وليس في إثبات المودة في البين بطريق التحقيق، بل بطريق التهكم"[٦].

---

(١) ينظر : أبو السعود: إرشاد العقل السليم (٢/ ٢٥١).

(٢) سورة الشعراء : آية رقم (٢٧).

(٣) سورة الحجر :آية رقم (٦).

(٤) سورة النساء : آية رقم (٧٣).

(٥) الرازي : مفاتيح الغيب (١٣٩/٤).

(٦) ابو السعود : ارشاد العقل السليم (٢٠١/٢).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضع الثامن : في قوله تعالى :((إنّ الذين كفروا وظلموا لم يكن ا ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا، إلاّ طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على ا يسيرا))(١)

في هذه الآية ضرب من التهكم وهو : الإتيان بألفاظ الوعد في مكان الوعيد، بيان ذلك : أنّ ا تعالى استخدم لفظ (الهداية) وهو من ألفاظ البشارة والوعد بالخير، استخدمه في الدلالة على جهنّم، وهذا لا يستقيم في أصل الاستعمال، فالكلام على خلاف مقتضى الحال، إذ أن الهداية مأخوذة من الهُدى بالضم : وهو الرشاد والدلالة، وتبيين الحق من الضلال، ومن أسماء ا تعالى : الهادي، أي: هو الذي بصّر عباده وعرّفهم طريق معرفته حتى اقرّوا بربوبيته(٢).

وقد استعمل القرآن الكريم هذا اللفظ في كثير من المواطن، وكلّها تحمل معنى الدلالة على طرق الخير والصلاح المفضية إلى الجنّة، والحصول على الأجر والثواب من ا تعالى، من ذلك قوله تعالى : ((اهدنا الصراط المستقيم))(٣) وقوله تعالى:((قل ا يهدي للحق))(٤) وقوله تعالى: ((يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم))(٥) وقوله تعالى : ((إنّ علينا للهدى))(٦)

ولمّا استعمل لفظ الهداية ههنا في سياق إدخال الكافرين النار ؛ دلّ ذلك على أنّ هناك علّة ونكتة تقتضي التوقف والانتباه، ومن ثم التحقيق في هذه الحال ؛ فهؤلاء الكفار والظلمة يعتقدون بأنّهم الأصح منهجا ومعتقدا، والأسلم مسلكا، وبالتالي فإنّ العاقبة ستكون لهم، على ظلمهم وكفرهم وعنادهم ؛ فأراد ا تعالى أن يبيّن لهم فساد ما اعتقدوه، وشناعة ما سلكوه : من تنكب طريق الهداية والصلاح التي جاء بها محمّد -صلى ا عليه وسلّم -، والتجبّر على خلق ا في الأرض ؛ فعبّر عن ذلك بصورة رائعة، وذلك أنّ من شأن الأعمال الصالحة أن تهدي أصحابها إلى حسن العاقبة والمآل، وتدلهم على حسن المستقرّ والمقام، لكنّ هؤلاء الكفّار قد هدتهم أعمالهم إلى عكس ما يرجون ويأمّلون، هدتهم إلى حتفهم ونهايتهم، بل إلى خلودهم في العذاب والسموم، فأيّ هداية هذه ؟! إنّ مثل هذا لا يسمّى هداية، ولكنها ضلال و غواية، ولكنّ ا تعالى لمّا أراد أهانتهم وتحقيرهم، وقطع أطماعهم، والتنبيه على قلّة بصيرتهم ؛ جاء لهم بلفظ يحمل في طيّاته البشارة والوعد، فلمّا نفى عنهم الهداية، ثمّ حصرها في طريق واحد، أشعر أنّه لا زال هناك

---

(١) سورة النساء :آ ية رقم (١٦٨،١٦٩).

(٢) ينظر : ابن منظور : لسان العرب (١٥/ ٣٥٣ـ ٣٥٤) مادة هدي.

(٣) سورة الفاتحة : آية رقم (٦).

(٤) سورة يونس : آية رقم (٣٥).

(٥) سورة الأحقاف:آية رقم (٣٠).

(٦) سورة الليل : آية رقم (١٢).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بريق أمل لهؤلاء الكفار - الأمر الذي تقتضيه الهداية - لكن سرعان ما يتلاشى هذا الأمل، فإذا بالهداية تأتي على غير المعهود، فهي هذه المرّة إلى جهنّم وبئس المصير.

لذا فإنّ استخدام لفظ الهداية ههنا،هو من باب الاستعارة ؛ حيث استعار لفظ الهداية للدلالة على طريق جهنّم، "فقد فشبّه سوقهم إلى طريق جهنم بالهداية، بجامع السرور، تحقيقا في الهداية وتنزيلا في حشرهم إلى جهنّم، تنزيلا للتضاد منزلة التناسب، على طريقة الاستعارة التهكميّة"[١].

ومثل هذا قوله تعالى: ((من دون ا فاهدوهم إلى صراط الجحيم))[٢] فلا خير البتّة لهؤلاء الكفرة في سلوكهم طريق جهنم ودلالتهم عليه، لكن ا تعالى أراد التهكم بهم والازدراء عليهم، فلما أعرضوا عن طريق الهداية في الدنيا، واتبعوا السبل المفضية إلى النّار، ذكّرهم ا تعالى بسوء مسلكهم، فجاء لهم بلفظ يشعرهم بالحسرة والندم على تفريطهم وعصيانهم، فلو انهم أطاعوا ا تعالى لكانت هدايتهم إلى الجنّة حقيقة، فلفظ الهداية ههنا استعمل لأنه جعل بدل الهداية إلى الجنّة كما قال ا تعالى : ((فبشّرهم بعذاب اليم))[٣]،[٤].

كما أنّ في الآية وجها آخر من التهكم والسخرية، وهو أنّ هؤلاء العصاة بعد أن كانوا متعاضدين متناصرين في الدنيا، اصبحوا اليوم عاجزين عن ذلك، لا يملكون لأنفسهم -فضلاعن غيرهم - حولا ولا قوّة، بحاجة إلى من يعرّفهم طريق جهنّم، مع أنّها لا تخفى على من استحقها واستوجبها[٥].

الموضع التاسع : في قوله تعالى : ((وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنّكم أشركتم با ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأيّ الفرقين أحق بالأمن إنْ كنتم تعلمون))[٦].

الشاهد في الآية: قوله تعالى: ((أنّكم أشركتم با ما لم ينزل به عليكم سلطانا)) وبيان ذلك، أنّ ظاهر النّظم يشعر بأنّ الإشراك با تعالى وما شابهه من المعاصي العظيمة ممّا يتصوّر أن ينزل فيه الإذن من ا تعالى، وهذا محال لأنّ من أعظم الذنوب عند ا تعالى، الإشراك ((إنّ ا لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك با فقد ضل

(١) ينظر : عبد الفتاح لاشين : البيان في ضوء أساليب القرآن (ص ١٨٠).
(٢) سورة الصافات : آية رقم (٢٣).
(٣) سورة آل عمران: آية رقم (٢١).
(٤) الرازي : مفاتيح الغيب (٩/ ٣٢٨).
(٥) ينظر : ابن عاشور : التحرير والتنوير (٥/ ٢٠٥) بتصرّف.
(٦) سورة الأنعام :آية رقم (٨١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ضلالا بعيدا))[١] دلّ ذلك على أنّه ليس المراد حقيقة الكلام، وإنّما هو وارد على طريقة التهكم، لتوبيخ هؤلاء الكفرة الذين اجترأوا على ا وتساهلوا في أمر هذه المعصية،وتهديدهم ؛ حيث قلّلوا من شأنها، وهي عند ا من أكبر الكبائر، لذلك يقول أبو السعود : " كيف أخاف أنا ما ليس في حيز الخوف أصلا، وأنتم لا تخافون غائلة ما هو أعظم المخوفات وأهولها، وهو إشراككم با الذي ليس كمثله شيء في الأرض ولا في السماء ماهو من جملة مخلوقاته، و إنّما عبّر عنه بقوله ((ما لم ينزّل به)) أي بإشراكه (عليكم سلطانا) على طريق التهكم، مع الإيذان بأنّ الأمور الدينيّة لا يعوّل فيها إلاّ على الحجة المنزلة من عند ا "[٢].

الموضع العاشر : في قوله تعالى : ((إنْ تستفتحوا فقد جاءكم الفتح و إنْ تنتهوا فهو خير لكم...))[٣].

الخطاب في الآية : إمّا للمؤمنين، و إمّا للكافرين، وكونه للكافرين أظهر، وأليق بسياق الآية، ويتلاءم مع ما ورد في سبب النزول من أن أبا جهل قال حين التقى القوم : -أي في معركة بدر- اللهمّ أيّنا أقطع للرحم واتانا بما لا يعرف فاحنه الغداة[٤]، وفي رواية أخرى قال: اللهم انصر أعلى الجندين، وأهدى الفئتين،وأكرم الحزبين، وأفضل الدينين فنزلت[٥].

والاستفتاح في اللغة معناه: الاستنصار[٦]، وطلب الفتح[٧]، فهؤلاء الكفّار طلبوا من ا أن يقضي بينهم وبين المؤمنين، وأن يكشف ما نزل بهم من الكرب ؛ اعتقادا منهم بأنّهم أصح طريقة، وأسلم منهجا، وأحسن دينا ممّا جاء به محمد – صلى ا عليه وسلّم – فهم أحق بالسيادة والسلطان ؛ فهم أهل المال والجاه، فبشّرهم ا تعالى باستجابة استفتاحهم واستنصارهم قائلا:

---

(١) سورة النساء : آية رقم (١١٦).

(٢) ابو السعود : إرشاد العقل السليم (٣/ ١٥٥).

(٣) سورة الأنفال : آية رقم (١٩).

(٤) هذه الراواية : أخرجها ابن أبي شيبة، ت ٢٣٥هـ في المصنّف، ط١، تحقيق: كمال يوسف الحوت، حديث رقم (٣٦٦٧٤) (٣٥٥/٦) عن الزهري، والإمام أحمد بن حنبل،ت ٢٤١هـ، في المسند، مؤسسة قرطبة، مصر، (٥ / ٤٣١) عن الزهري، حديث رقم (٢٣٧١٠).

(٥) الواحدي، علي بن أحمد، ت ٤٦٨هـ، : أسباب النزول، ط١، عناية : وليد الزكري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢١هـ، (ص١٢٣).

(٦) الرازي: مختار الصحاح (١/ ٢٠٥).

(٧) الراغب الاصفهاني : مفردات في غريب القرآن (ص٣٧٠) مادة:فتح، قال وله ضربان : الأول يدرك بالبصر كفتح الباب، والثاني يدرك بالبصيرة كفتح الهمّ وهو إزالة الغمّ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

((فقد جاءكم الفتح)) لكن على عكس ما توهّموا، فهو فتح عليهم لا لهم، فقد ألحق بهم الهزيمة والخزي والعار، وقتل أشرافهم، وضاعت أموالهم التي أنفقوها في هذه الحرب، وعادوا بالويل والثبور، ومثل هذا لا يسمّى فتحا على الحقيقة، ولكن ا تعالى أراد السخرية والتهكم بهم، وكأنّه سبحانه يريد أن يصحّح مفاهيمهم، ويبيّن فساد عقائدهم، حيث ظنّوا أنّ معايير النصر والتمكين إنّما تكون بالعدد والعدة، والجاه والسلطان، فهذه معايير بشرية لا قيمة لها في ميزان الشرع، لأنّ سنة ا تعالى قضت أن تكون الغلبة للدين، ولعباد ا الصالحين، فكان الأحرى بهم أن يربطوا أنفسهم بهذه القوّة التي لا تقهر، لذلك فقد قضى ا تعالى فيهم بحكمه العادل وهو خذلانهم لكفرهم وجحودهم[١].

الموضع الحادي عشر: في قوله تعالى : ((وإذ قالوا اللهمّ إنْ كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم))[٢].

هذه الآية تبيّن مدى تكذيب كفار قريش لما جاء به محمد - صلى عليه وسلم -وأنكارهم، فقد ورد في سبب النزول أنّ أبا جهل قال: اللهم إنْ كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم[٣]، فنزلت[٤].

فهؤلاء الكفار وهم في غاية الجحود والإنكار للقرآن الكريم ولنبوة النبي - صلى ا عليه وسلم - يتحدثون وكأنّهم يقدمون اعتذارا على جرم عظيم اقترفوه، وأنّهم يريدون من ا أن يطهرهم من هذا الذنب بإيقاع العقوبة المتمثلة بإنزال الحجارة من السماء كما فعل مع أصحاب الفيل، أو أيّ عقاب آخر يستحقونه على سوء فعلهم، وكأنّهم يعترفون بوجود ا تعالى لا شريك له، إلا أنّ خطأهم أنّهم أنكروا أن يكون القرآن منزلا من عند ا تعالى، وفي الحقيقة هم ليسوا على شيء من ذلك، فلا هم يؤمنون بوحدانية ا ، ولا تنزيله للقرآن على النبي - صلى ا عليه وسلم - وبعثته به إليهم والى البشريّة كلّها، لكنهم أخرجوا الكلام على هذه الصورة ؛ لتأكيد جحودهم، وإنكارهم على وجه السخرية بالنبي – صلى ا عليه وسلّم - والمؤمنين.

---

(١) ينظر: طنطاوي، محمد سيّد: التفسير الوسيط، ط٢، ١٤٠٦هـ، (٦/ ٨٥) بتصرّف.

(٢) ـسورة الأنفال :آية رقم (٣٢).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح،عن أنس،أن قائل ذلك هو أبو جهل، فنزل قوله تعالى : ((وما كان ا معذّبهم وأنت فيهم ...))الآية، حديث رقم (٤٣٧٣) (١٧٠٤/٤).

(٤) الواحدي: أسباب النزول (ص ١٢٤).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول أبو السعود - رحمه ا - :"والمعنى إن كان حقا منزلا من عندك فأمطر علينا الحجارة عقوبة على إنكارنا أو ائتنا بعذاب أليم سواه، والمراد منه التهكم وإظهار اليقين والجزم التامّ على أنّه ليس كذلك وحاشاه"[١].

وهذا أسلوب من الجحود بليغ،لأنّهم جعلوا حقيقة القرآن محالا، لذا علّقوا عليه طلب العذاب الذي لا يطلبه عاقل[٢].

الموضع الثاني عشر: قوله تعالى: ((ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنّه لحق وما أنتم بمعجزين))[٣].

التهكم ههنا حاصل في صورة الاستنباء، فظاهر النظم أنّ هؤلاء يريدون أن يتحققوا صحّة ما أخبرهم به فإن كان حقا آمنوا به، لكنّ ذلك لا يتناسب مع حالهم، فهم في غاية الإنكار والجحود، فليس الاستنباء واردا منهم على وجه الحقيقة،وإنما المراد السخرية والاستهزاء، وهذا ما قرره الآلوسي - رحمه ا - فقال:" الاستنباء على سبيل التهكم والاستهزاء كما هو معلوم من حالهم، فلا يقتضي بقاءه على أصله، وربما يقال : إنّ الاستنباء عن طلب الحقيقة،لكن لا عن الحقيقة ومقابلها بالمعنى المتبادر، لأنّهم جازمون بالثاني، بل المراد من ذلك الجدّ والهزل، كأنّهم قالوا: إنّا جازمون بأنّ ما تقوله كذب، لكنّا شاكّون في أنّه جدّ منك أم هزل فأخبرنا عن حقيقة أمرك"[٤].

الموضع الثالث عشر: قوله تعالى : ((قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنّك لأنت الحليم الرشيد))[٥].

اشتملت هذه الآية على مشهدين من التهكم، وكلاهما صادر من قوم شعيب –عليه السلام - والمراد بهما : عدم الإيمان بما جاء به شعيب - عليه السلام - من التعاليم والأوامر الربانيّة.

---

(١) ابو السعود : ارشاد العقل السليم (٤/ ١٩) وانظر البيضاوي : أنوار التنزيل (١٠٥/٢).
(٢) القاسمي، جمال الدين : محاسن التأويل (٤/ ٣٢).
(٣) سورة يونس :آية رقم (٥٣).
(٤) الآلوسي : روح المعاني (١١/ ١٣٥).
(٥) سورة هود : آية رقم (٨٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المشهد الأول : في نسبة الأمر إلى الصلاة، وأصل العبارة : أصلاتك تأمرك أن تأمرنا بترك ما يعبد آباؤنا ؟ ! فأكتفي بذكر الأمر الأول عن الثاني لأنّه كالمعلوم من فحوى الكلام(١)، ونسبة الأمر إلى الصلاة على طريق المجاز(٢)، كقوله تعالى: ((إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر))(٣).

فهؤلاء الكفرة من قوم شعيب - عليه السلام - لا يعتقدون صحّة ما جاء به من التعاليم السماويّة التي تنهاهم عن سوء المعاملات والتصرّفات التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، ولكنهم ساقوا الكلام مساق الجاهل الذي لا يدري هل الصلاة تأمر بمثل هذا أم لا ؟، وكأنهم يقرّون بصحّة صلاته، مع أنّهم في قرارة أنفسهم لا يعترفون بشيء اسمه صلاة، وأنّ الصلاة لا يصدر منها أمر أو نهي، وهم لا شكّ موقنون بهذا، إلاّ إنّهم يسخرون من حيث إنّهم لا يعترفون با سبحانه، فشعيب يقول لهم : ا يأمرني بهذا، وكأنّهم يقولون : لا يوجد شيء اسمه ا ، وبالتالي لا يوجد ما يأمرك إلا صلاتك التي نراها(٤)، فليس الاستفهام على حقيقته وإنّما المراد منه السخرية والاستهزاء(٥)، وما أحسن قول الزمخشري في هذا المقام حيث يقول:" قصدوا بقولهم (أصلاتك) السخرية والاستهزاء – والصلاة وإنْ جاز أن تكون آمرة على طريق المجاز، كما كانت ناهيه في قوله تعالى: ((إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر))(٦)وأنْ يقال: إنّ الصلاة تأمر بالجميل والمعروف كما يقال: تدعو إليه وتبعث عليه، إلاّ إنّهم ساقوا الكلام مساق الطنز (٧)وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته، أرادوا أنّ هذا الذي تأمر به من ترك عبادة الأوثان باطل لا وجه لصحته، وإنّ مثله لا يدعوك إليه داعي عقل، ولا يأمرك به آمر فطنة، فلم يبق إلا أن يأمرك به هذيان، أو وسوسة شيطان، وهو صلاتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك، وعندهم أنّها من باب الجنون"(٨).

---

(١) الشريف الرضي : تلخيص البيان في مجازات القرآن (١٦٦).

(٢) الزمخشري : الكشاف (٣/ ٢٥٥).

(٣) سورة العنكبوت : آية رقم (٤٥).

(٤) عبد الحليم حفني : التصوير الساخر (ص٤٥) وينظر : ابن عاشور : التحرير والتنوير (١٤١/١٠).

(٥) ينظر : محمود مصطفى : الإعجاز اللغوي في القصّة القرآنيّة، ط١، تقديم حسن عون، مؤسسة شباب الجامعة (ص٢٦٥).

(٦) سورة العنكبوت: آية رقم (٤٥).

(٧) الطنز: السخرية،الرازي : مختار الصحاح (١/ ١٦٧) طنز.

(٨) الزمخشري : الكشاف (٣/ ٢٢٥ ـ ٢٥٦).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المشهد الثاني: في قوله تعالى على لسان قوم شعيب ((إنّك لأنت الحليم الرشيد)).

ففي هذا المقطع القرآني ضرب من التهكم وهو: الإتيان بألفاظ المدح في معرض الاستهزاء، وهذا إذا كان هذا الكلام هو نفس الكلام الذي قالوه، لأنّ في تفسير الآية أقوالاً أخرى، فقيل: كانت ألفاظهم إنّك لأنت السفيه الجاهل فكنّى ا عن ذلك، وقيل: إنّك لأنت الحليم الرشيد عند نفسك، قال ابن عرفة: هذا من أشدّ سباب العرب أن يقول الرجل لصاحبه إذااستجهله: يا حليم، أي أنت عند نفسك حليم وعند الناس سفيه[١]، وقيل : قالوا على جهة الحقيقة وأنّه اعتقادهم فيه[٢]، وقيل هذا لفظهم بعينه، إلاّ إنّهم قالوه على جهة الاستهزاء[٣]، فظاهر الكلام أنّهم يثبتون لشعيب الحلم والرشد، وقدّ أكّدوا ذلك بعدّة مؤكّدات : النون المشددة،واللاّم، وتقديم المسند، والجملة الاسميّة، وفي حقيقة الأمر، أرادوا التقليل من شأنه والحطّ من قدره، إذ لو كانوا صادقين فيما يقولون لآمنوا به ؛ لأن من اتصف بالحلم والرشد ؛ لا يُسمّى ما يدعوا إليه هذيانا، لكنّهم أطلقوا عليه لفظ الحلم والرشد على طريق الاستعارة، فاستعاروا الحلم والرشد للسفه والغواية [٤]، كأنّهم يقولون : هل ما يصدر منك يا شعيب من هذه الدعوة يليق صدوره من عاقل رشيد؟[٥]، فغرضهم من الكلام التهكم والاستهزاء به - عليه السلام - فقد أظهروا شيئا وأبطنوا شيئا آخر، أظهروا المدح والتوقير، وأبطنوا التحقير والازدراء.

الموضع الرابع عشر: قوله تعالى حكاية عن فرعون : ((يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النّار وبئس الورد المورود))[٦].

هذه الآية تصوّر مشهدا عظيما من مشاهد الانحطاط والذلّة التي وصل إليها فرعون وقومه، وتنعى على أتباعه تعطيل عقولهم، وتنازلهم عن حريّاتهم، واتّباعهم لفرعون دون تفكّر أو تعقّل،

(١) نقل ذلك عنه ابن منظور في : لسان العرب (١٤٦/١٢).

(٢) ينظر هذه الأقوال : ابن عطيّة : المحرر الوجيز (٧/ ٣٨٠) والرازي : مفاتيح الغيب (٦/ ٣٨٧)وقد مال الرازي إلى القول الأخير، أي أن المراد الحقيقة.

(٣) ينظر : الطبري، محمد بن جرير، ت ٣١٠، : جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، (١٢/ ١٠٣) والأيجي،محمد عبد الرحمان الشافعي، ت٩٠٥هـ : جامع البيان في تفسير القرآن، ط١، تحقيق : د. عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ، (١٩٣/٢) والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن(١٦/ ١٥١) وابن كثير : (٤٥٧/٢).

(٤) ينظر : الشهاب الخفاجي: عناية القاضي (٤/ ٦٨٣).

(٥) عبد الحليم حفني : التصوير الساخر (ص٤٥).

(٦) سورة هود : آية رقم (٩٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليس لشيء إلا لأنّه ((فاستخف قومه فأطاعوه إنّهم كانوا قوما فاسقين))[١] فهي تصوّر شناعة ما اقترفوه، وبشاعة ما كانوا عليه من الغباء وتبلّد المشاعر والأحاسيس حتى صاروا هم والبهائم سواء، يقودها راعيها إلى حيث يشاء، وهي لا تدري ما المصير، والى أين المستقر، ويتجلّى ذلك في الصورة الساخرة المتهكمة التي رسمها ا عزّ وجل، ذلك لأنّ الوارد أو الورّاد : هم الذين يردون الماء[٢]؛ طلبا للسقيا، وتسكين العطش، وتبريد الأكباد، ومن ثمّ حصول الراحة والطمأنينة، واستعادة القوّة والعافية، لكن ا تعالى لم يقل: أوردهم الماء، وإنّما قال: أوردهم النّار، وهذا لا يتناسب، إذ أنّ النار لا تورد طالبا للسقيا، لكنّ ا تعالى لمّا أراد السخرية بهم، شبّه فرعون بمن يتقدّم الواردة إلى الماء، وشبّه أتباعه بالواردين إلى الماء، ثمّ

قال : بئس الورد المورود الذي يردونه النّار[٣]، فاستعار لفظ الورد للنّار وهي بضدّه، فشبه الوارد إلى النار بالوارد إلى الماء بجامع السرور وسد الظمأ في كل، تحقيقا قي في الماء وتنزيلا في جهنّم، تنزيلا للتضاد منزلة التناسب.

وما ألطف قول سيّد - رحمه ا - حيث يقول :" أوردهم كما يورد الراعي قطيع الغنم، ألم يكونوا قطيعا يسير بلا تفكير ؟ ألم يتنازلوا عن أخصّ خصائص الآدميّة، وهي حرية الإرادة والاختيار؟ فأوردهم النّار، ويا بئساه من ورد لا يروي غلّة ولا يشفي صدرا، إنما يشوي البطون والقلوب"[٤].

ويا لها من صورة ضاحكة رسمها ا تعالى لهؤلاء المقلّدة، علّها تكون عبرة وعظة لمن أراد أن يعتبر ويتّعظ، ومنارا لمن أراد أن يعبد ا على بصيرة، وهذا من هدي الكتاب العزيز، إذ ليس من غرض القرآن الكريم إثارة الضحك للعبث واللهو،وإنما يرمي إلى مقاصد عظيمة وغايات نبيلة، جماعها الدعوة إلى ا تعالى.

وقريب من هذه الآية قوله تعالى: ((ونسوق المجرمين إلى جهنّم وردا))[٥].

فقد شبههم ا تعالى بقطيع من الغنم أو الإبل يساق إلى المورد، وأي مورد ؟! إنّها جهنم وبئس المصير، وفي ذلك تهكّم لاذع بهم، وزيادة في تحسيرهم وتنديمهم، حيث جاء ذلك في

---

(١) سورة الزخرف: آية رقم (٥٤).

(٢) الرازي : مختار الصحاح (١/ ٢٩٨) وقال: المورد وهو عين الماء ترده الإبل في المراعي (١/ ٢٨٤) باب نهل.

(٣) الرازي : مفاتيح الغيب (٦/ ٣٩٤).

(٤) سيّد قطب : في ظلال القرآن، ط٣،دار إحياء التراث، بيروت، (٤/ ١٣٦).

(٥) سورة مريم: (٨٦).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقابلة حشر المؤمنين إلى الرحمن وفدا، لما بين الورد وبين الوفد من المفارقة، إذ الوَفْد : القوم الذين يجتمعون فيردون البلاد، واحدهم وافد، والذين يقصدون الأمراء لزيارة واسترفاد وانتجاع، وعن الأصمعي : وفد فلان يفده وفادة، إذا خرج إلى ملك أو أمير(١)، فشتّان بين من يرد النار، وبين من يفد إلى الله تعالى.

الموضع الخامس عشر: قوله تعالى: ((واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود))(٢).

لا زال الحديث متّصلا عن فرعون وقومه، وهذه صورة أخرى من التهكم والسخرية الباعثة على التفكير والتدبّر في سوء عاقبة الذين عطّلوا عقولهم، فنسبوا الألوهيّة والحاكميّة لغير الله تعالى.

فالله تعالى يتهكم بهم من حيث إنّه لعنهم في الدنيا، ثمّ أتبعهم اللعنة في يوم القيامة، زيادة في تنكيلهم وتعذيبهم، وعبّر عن ذلك بصورة ساخرة ضاحكة، فسمّى اللعنة رفدا، مع أنّ الرفد يعني المعونة والعطيّة، والمِرْفد : ما يجعل فيه الرفد من الطعام(٣)، ورفده أعطاه وأعانه(٤)، فأيّ عطاء هذا وأيّ معونة هذه ؟! واللعنة لا تحمل إلاّ التهديد والوعيد، والبعد عن رحمة الله تعالى، لذلك فإنّ الكلام ليس على الحقيقة، وإنّما من باب الاستعارة(٥)، فاستعار لفظ الرفد وأراد به اللعنة، على طريقة الاستعارة التهكميّة٦، إذ أنّ من شان الأتباع أن يكونوا عونا للمتبوعين، فجعلت اللعنة رفدا وعطاء ومعينا على طريق التهكم(٧).

يقول سيّد - رحمه الله تعالى-: " فهذه النّار هي الرفد والعطاء والمنّة، التي رفد بها فرعون قومه، ألم يعد السحرة عطاء جزيلاً ورفداً مرفوداً ؟ فهاهو ذا رفده لمن اتبعه النّار... وبئس

---

(١) ابن منظور : لسان العرب (٣/ ٥٦٤،٥٦٥)، مادة : وفد.

(٢) سورة هود: آية رقم (٩٩).

(٣) الراغب الأصفهاني : مفردات في غريب القرآن (ص١٩٩).

(٤) الرازي : مختار الصحاح (١/١٠٥) رفد.

(٥) ينظر: الشريف الرضي : تلخيص البيان في مجازات القرآن (ص١٦٧،١٦٨).

(٦) ينظر: ابن عاشور : التحرير والتنوير (١٠/ ١٥٧) والشهاب الخفاجي : عناية القاضي (٥/ ٢٢٨).

(٧) ابو السعود : إرشاد العقل السليم (٤/ ٢٣٩) وانظر: الشوكاني : فتح القدير (٢/ ٥٢٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الورد المورود، وبئس الرفد المرفود،وذلك من بدائع التعبير والتصوير في هذا الكتاب العجيب"(١).

الموضع السادس عشر: قوله تعالى: ((له معقّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر ا))(٢).

على معنى أنّ المعقّبات هم الحرس والأعوان، فإنّ ظاهر الآية يثبت أنّ لهم القدرة على حفظ الملك من أمر ا وقدره، ولكن المقطوع به أنّه ليس لأحد فعل ذلك، فإنّ هذه الأحراس لا تنجيه من ا تعالى، ولا تخلّصه من قدره، وهم إن ظنوا أنّهم يخلصون مخدومهم من أمرا ، فإنّهم لا يقدرون على ذلك ألبتة(٣)، فالكلام على هذا الوجه ليس مقصودا على الحقيقة وإنّما هو من باب التهكم.

الموضع السابع عشر: قوله تعالى: ((للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أنّ لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد))(٤).

موطن الشاهد : ((مأواهم جهنم وبئس المهاد)) ومثله قوله تعالى: ((مأواكم النّار هي مولاكم وبئس المصير))(٥) وقوله تعالى: ((فقد حرّم ا عليه الجنّة ومأواه النّار))٦ وقوله تعالى: ((لهم من جهنّم مهاد ومن فوقهم غواش))(٧)، ففي هذه الآيات صورة من صور التهكم وهي: استعمال ألفاظ الوعد في مكان الوعيد.

وبيان ذلك :أنّ كلاً من لفظ المأوى، والمهاد، والمولى، والغواش في أصل استعماله لا يصدق على جهنّم، بل يتصوّر في هذه الألفاظ عكس ما يتصوّر في جهنّم، وتفصيل ذلك : أنّ

---

(١) سيّد قطب : تفسير الظلال (٤/ ١٣٦).

(٢) سورة الرعد : آية رقم (١١).

(٣) ينظر : الرازي: مفاتيح الغيب (٧/ ١٨)، وعلى المشهور في تفسير الآية : أن المقصود من المعقبات الملائكة التي يعقب بعضها بعضا، فليس في الآية تهكم، وهذا ما أميل إليه.

(٤) سورة الرعد : آية رقم (١٨).

(٥) سورة الحديد : آية رقم (١٥).

(٦) سورة المائدة :آية رقم (٧٢).

(٧) سورة الأعراف :آية رقم (٤١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لفظ المأوى يعني: المنزل[١]، والمكان الذي يؤوى إليه، وأويت له: رحمته، أويا وإيّة ومأويّة ومأواة تحقيقه : رجعت إليه بقلبي[٢]، وقد أوى إلى منزله يأوي أويّا وإواء، ومنه قوله تعالى : ((سآوي إلى جبل يعصمني من الماء))[٣]،[٤].

فهذا اللفظ إنّما يتصور فيه الحصول على الراحة والطمأنينة، والقوّة، والمنعة، كما يحمل معنى اللطف والحنان، وا عزّ وجلّ يخبر أنّ جهنّم مأوى للكافرين، مع أنّهم لا يجدون ما يجده من أوى إلى مكان طلبا للسلامة والأمن، بل يجدون النّار التي تحرق جلودهم، وتقطع قلوبهم، وتملؤها خوفا وهلعا، ومثل ذلك يقال في لفظ (المولى) الذي يرجى منه النصرة والمعونة[٥]، فهؤلاء الكفّار يرجعون إلى النّار كما يرجع المستنصر إلى مولاه لينصره أو يفادي عنه، فاستعير المولى للمقرّ على طريق التهكم[٦]،حيث شبّه العائد إلى جهنم بالعائد إلى مولاه وناصره بجامع النصرة والمعونة في كل، تحقيقا في المولى وتنزيلا في جهنّم، تنزيلا للتضاد منزلة التناسب، فمعنى المولى ههنا : أي أملك وأولى بأخذكم وهذا بمعنى المولى من طريق الرقّ، لا المولى من طريق العتق، فكأنّ النّار تملكهم رقّا ولا تحرّرهم عتقا[٧].

وأما المهاد والغواش : فكلاهما مستعمل في غير ما وضع له في أصل اللغة، فالمهاد معناه: الفراش[٨]،ويقال للفراش مهادا لوثارته، وأصل المهد : التوثير، يقال: مهدت لنفسي :أيّ جعلت لها مكاناً وطيئاً مسهّلاً[٩]، والمهد أيضا : ما يهيئ للصبي[١٠].

وأما الغواش :فجمع غاشية، وهي ما يستر الإنسان، أي: يغطيه من جهة فوق[١١]،

---

(١) ابن منظور : لسان العرب (١٤/ ٥٢) مادة: أوا.

(٢) الراغب الأصفهاني : مفردات في غريب القرآن (ص ٣٤) مادة :أوى.

(٣) سورة هود: آية رقم (٤٣).

(٤) الرازي: مختار الصحاح (١/ ١٤).

(٥) ينظر: الراغب الأصفهاني : المفردات (ص٥٣٥) مادة : ولي.

(٦) ابن عاشور : التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٨٩).

(٧) الشريف الرضي : تلخيص البيان في مجازات القرآن (ص ٣٢٧).

(٨) الرازي : مختار الصحاح (١/ ٢٦٦) مادة : مهد.

(٩) ابن منظور : لسان العرب (٣/٤١٠) مادة: مهد.

(١٠) الراغب الأصفهاني : المفردات (ص ٤٧٦) مادة: مهد.

(١١) الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد، ٨٧٦هـ، : الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت (٢/ ١٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو بمعنى اللّحف[١]،وهذه المعاني غير متحققة في جهنّم، وإنما سمّاها ا تعالى مهادا، وغواشا ؛ تهكما؛ لأنّ العصاة يلقون فيها فتصادف جنوبهم وظهورهم[٢]، فحين يسمع العربي هذا التعبير لأوّل وهلة، لا يشكّ أنّ هذا الشيء المهيأ هو فراش ناعم وثير قد أعد لتتوافر فيه الراحة والطمأنينة، ولكن الحديث عن عذاب جهنّم وعن الكافرين، وبالتالي سيدرك أنّ المقصود غير الحقيقة، وإنّما هي السخرية والتهكم بهؤلاء الكفرة، وإثارة الحسرة والندم في نفوسهم، حيث تفتح لهم الصورة الساخرة بريقا من أمل خاطف زائل، هو تصوّر فراش وثير ومناخ بارد، ثمّ نوم عميق، ولكنه سرعان ما يتبدد هذا الأمل في نار جهنم[٣] التي تحيط بهم من كل جانب حتى صارت لهم فراشا وغطاء.

الموضع الثامن عشر: قوله تعالى: ((أتى أمر ا   فلا تستعجلوه))[٤].

رجّح أبو السعود أن يكون الخطاب في هذه الآية موجها للكافرين، واستبعد أن يكون للمؤمنين لأنّه لا يتلاءم مع معنى الآية، ويؤدي إلى فوات نكت لا تتحصل في جعل الخطاب للمؤمنين[٥].

ولمّا كان الخطاب موجها إلى الكافرين فإنّ في الآية تهكما بهم، وذلك أنّ الكافرين كانوا يستعجلون العذاب، ولكنّ استعجالهم ليس على الحقيقة،وإنّما من باب المبالغة في التكذيب والإنكار لما يخبرهم به القرآن الكريم، فا تعالى في هذه الآية أخرج الكلام على خلاف مقتضى الحال، أي إنّه جعل استعجالهم للعذاب حقيقة ثمّ نهاهم عنه بضرب من التهكم[٦]، إذ لا يطلب العذاب والعقوبة إلاّ جاهل أو مجنون. واستعمل القرآن هنا (أتى) دون (جاء) لأنّ الأولى في المعنويات، والثانية في الماديّات.

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٥) و السيوطي، جلال الدين،عبد الرحمن بن أبي بكر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، (٣/ ٤٥٧) والبغوي : معالم التنزيل (٢/ ١٦٠).

(٢) ابن عاشور : التحرير والتنوير (٢/ ٢٧٣).

(٣) عبد الحليم حفني : التصوير الساخر (ص٢٣٠) بتصرّف.

(٤) سورة النحل :آية رقم (١).

(٥) ينظر: أبو السعود : إرشاد العقل السليم (٥/ ٩٤).

(٦) ينظر: نفس المرجع   (٩٤/٥).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضع التاسع عشر: قوله تعالى: ((أموات غير أحياءٍ وما يشعرون أيّان يبعثون))(١).

التهكم في الآية في قوله تعالى : ((وما يشعرون أيّان يبعثون)) على أن المقصود بالكلام: الأصنام التي اتخذوها آلهة من دون ا تعالى، فهذه الأصنام المزعومة لا تشعر أيّان يبعث عبدتها من الكفّار، وكأنّ هذه الأصنام ممّا يتصّور حصول ذلك منها، لكن المرا د من الكلام التهكم بهم، لأنّ شعور الجمادات بالأمور الظاهرة بدهيّ ؛ لاستحالته عند كل أحد، فكيف بما لا يعلمه إلاّ العليم الخبير؟!(٢)، فإذا تقرّر أنّ الجماد لا يشعر بما هو مشاهد، فلا حاجة إلى نفي علمهم بما هو أعظم من ذلك، لا سيّما أمر البعث الذي لا يعلمه إلاّ ا تعالى، لكنّ في ذلك كمال السخرية بهم، والازدراء عليهم، كيف نصّبوا هذه الأصنام آلهة من دون ا تعالى، إلى جانب ما يحمله هذا الخطاب من تجهيلهم، وبيان قلّة بصيرتهم، حيث إنّهم لا يفهمون إلاّ بالتصريح.

وقريب من هذا قوله تعالى : ((ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا))(٣).

فإنّ في أمر المشركين أن ينادوا آلهتهم التي عبدوها من دون ا تعالى ؛ لتستجيب لهم وترد عليهم،غاية التهكم بهم ؛ لأنّه لا يخفى على عاقل أنّ استجابتهم مستحيلة، ولكن ا تعالى جعلها في حكم من يرجى منه السماع والاستجابة، يقول أبو السعود - رحمه ا - : " معلوم أنّ الشركاء لا يستجيبون ؛ إذ لا إمكان لذلك، وفي إيراده مع ظهوره، تهكم بهم، وإيذان بأنّهم في الحماقة بحيث لا يفهمون إلاّ بالتصريح به"(٤).

الموضع العشرون: قوله تعالى :((وإذا قيل لهم ما ذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين))(٥)

القائل هنا فيه ثلاثة أقوال: الأول: إنّهم الوافدون عليهم، والثاني: إنّهم المسلمون، والثالث:بعض منهم، وعلى القول الأخير فالكلام معناه التهكم(٦)،إذ لا يستقيم إيمانهم بنزول القرآن مع وصفهم له بأساطير الأولين، ولكنهم أخرجوا الكلام على خلاف مقتضى حالهم لإرادة السخرية،وذلك مثل قولهم : ((يا أيّها الذي نُزّل عليه الذكر إنّك لمجنون))(٧) فصدر الكلام يثبت

(١) سورة النحل: آية رقم (٢١).
(٢) ينظر : المرجع السابق (٥/ ١٠٦) والشوكاني : فتح القدير (٣/ ١٥٦).
(٣) سورة الكهف آية رقم (٥٢).
(٤) أبو السعود : إرشاد العقل السليم (٥/ ٢٢٩).
(٥) سورة النحل :آية رقم (٢٤).
(٦) انظر: أبو السعود : إرشاد العقل السليم (٥/ ١٠٧) والآلوسي : روح المعاني: (١٤/ ١٢٢).
(٧) سورة الحجر : آية رقم (٦).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنّهم مؤمنون بنزول الذكر عليه، ولا يستقيم هذا مع وصفهم له بالجنون، فلم يبق إلاّ التهكم والسخرية.

الموضع الحادي والعشرون : قوله تعالى: ((وإن يستغيثوا يغاثوا بماءٍ كالمهل يشوي الوجوه...))[١].

في هذه الآية ضرب من التهكم وهو: الإتيان بألفاظ الوعد في مكان الوعيد، بيان ذلك : أنّ الاستغاثة تعني: طلب الغوث، والغوث يقال في النصرة[٢]، فهؤلاء الكفّار يستغيثون من حر جهنّم، فيطلبون ماء يصبّونه على أنفسهم للتبريد[٣]، وتخفيف حدّة الألم والحرّ، فيغيثهم ا تعالى، لكن بأي شيء؟! إنّه لا يغيثهم بالماء الذي طلبوه، وإنّما بالماء المتناهي في الحرارة، فيؤتى به إليهم ليشربوه، فتسقط فروة وجوههم من حرّه ولمّا يشربوه، فأيّ غوث هذا ؟! إنّ مثل هذا لا يسمّى غوثا، فالكلام على غير الحقيقة إذ أنّه لا وجه للمناسبة بين لفظ الغوث وما يحمله من النجدة والنصرة، وبين المهل الذي يحرق الأكباد والأجساد،وإنّما ذلك من باب الاستعارة التهكميّة، فقد استعار لفظ الغوث بالماء البارد الذي يرجى معه تخفيف الألم والحر للماء الحار المتناهي في الحرارة، تنزيلاً للتضادّ منزلة التناسب لإرادة التهكم والسخرية بهؤلاء الكفرة، فلمّا قال ا تعالى : (يغاثوا) استبشروا وابتهجوا بأنّ ا استجاب استغاثتهم، فإذا بالغوث يأتي لهم بالويل والثبور، فازدادوا عذابا على عذابهم، وأضافوا إلى حرق أجسادهم حرق نفوسهم ومشاعرهم وأحاسيسهم، فأصبحت لا يراعى لها قدر ولا يؤخذ لها اعتبار، وهذا من روعة القرآن وقدرته على التأثير في النفوس والتغلغل في أعماقها.

الموضع الثاني والعشرون:قوله تعالى: ((أفحسب الذين كفروا أنْ يتخذوا عبادي من دوني أولياء إنّا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا))[٤]، ومثله قوله تعالى: ((أذلك خير نزلا أم شجرت الزقّوم))[٥] وقوله تعالى: ((هذا نزلهم يوم الدّين))[٦]وقوله تعالى : ((فنزل من حميم))[٧].

في هذه الآيات الأربع ضرب من التهكم وهو: استخدام ألفاظ الوعد في مكان الوعيد.

---

(١) سورة الكهف : آية رقم (٢٩).

(٢) الراغب الأصفهاني : مفردات في غريب القرآن (ص ٣٦٧) مادة : غوث.

(٣) ينظر: الرازي :مفاتيح الغيب (٧/ ٤٦٠).

(٤) سورة الكهف : آية رقم (١٠٢).

(٥) سورة الصّافات : آية رقم (٦٢).

(٦) سورة الواقعة : آية رقم (٥٦).

(٧) نفس السورة : آية رقم (٩٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فوصف ا تعالى جهنّم وما فيها من العذاب والزقّوم بأنّه نزل، لكنّ النزل غير متحقق في جهنّم، إذ أنّه يعني في أصل الاستعمال : ما يهيأ للنزيل والضّيف إذا نزل عليه، ويقال : إنّ فلانا لحسن النزْل والنُزْل أي : الضيافة [١]، وبالتالي فإنّ الكلام ليس مقصودا على حقيقته، وإنّما هو من باب الاستعارة ؛ إذ إنّ الإخبار بأنّ ا يعدّ للكافرين حسن الضيافة أمر تنكره النفس، ولا يقبله العقل، يقول ابن عاشور :" إطلاق النزل على العذاب استعارة علاقتها التهكم"[٢]، فكأنّه سبحانه يعد الكافرين بأنّه قد أعد لهم شيئا يتمتعون به عند ورودهم النّار، وفي ذلك تخطئة لهم في حسبانهم، وتهكم بهم حيث كان اتخاذهم إياهم أولياء من قبيل إعداد العتاد، وإعدادا لزاد يوم المعاد، فكأنّه قيل : إنّا اعتدنا لهم مكان ما أعدوا لأنفسهم من العدّة والذخر جهنّم[٣]، ومثل ذلك قول الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ((أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم)) قال:" وأصل النزل : الفضل الواسع في الطعام، يقال : طعام كثير النزل، فاستعير للحاصل من الشيء، ويقال: أرسل الأمير لفلان نزلا، وهو الشي الذي يصلح حال من ينزل بسببه، إذا عرفت هذا فنقول: حاصل الرزق المعلوم لأهل الجنّة اللذّة والسرور، وحاصل شجرة الزقّوم الألم والغمّ، ومعلوم إنّه لا نسبة لأحدهما إلى الآخر في الخيرية إلاّ إنّه جاء هذا الكلام : إمّا على سبيل السخرية، أو لأجل أنّ المؤمنين لمّا اختاروا ما أوصلهم إلى الرزق الكريم، والكافرين اختاروا ما أوصلهم إلى العذاب الأليم ؛ فقيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم"[٤].

فقد لاحظ المفّسرون - رحمهم ا تعالى - أنّ الكلام جارٍ على طريق الاستعارة التهكمية، حيث نزّل التضاد بين الحاصل من الجنّة وهو اللذّة والسرور، والحاصل من النار وهو الألم، نزّلهما منزلة التناسب، مع أنّه لا تناسب بينهما البتة إلاّ التهكم بالكافرين.

ويزداد التهكم في قوله تعالى ((فنزل من حميم)) فإذا كان أوّل ما يقدم لهم الحميم، وهم لم يستقروا في النّار بعد، فكيف سيكون حالهم بعد ما يستقرّ لهم القرار، وتطمئن لهم الدار في النّار[٥]، ففي ذلك كمال الاستخفاف بعقولهم، إذ أنّه لما ذكر النزل ؛ أوهمهم أن سيكون لهم بيتا

---

(١) ابن منظور : لسان العرب (٦٥٨/١١) مادة :نزل، و الرازي: مختار الصحاح :(١ /٢٧٣).

(٢) ابن عاشور : التحرير والتنوير (١٦ /٤٥).

(٣) ينظر: الآلوسي : روح المعاني (١٦/ ٤٧) و القاسمي، جمال الدين : محاسن التأويل (٧/ ١٣).

(٤) الزمخشري : الكشّاف (٥/ ٢١٣) و نقل ذلك عنه الرازي في : مفاتيح الغيب (٩/ ٣٣٦) وانظر الآلوسي : روح المعاني (٢٣/ ٩٥).

(٥) ينظر : الآلوسي: روح المعاني (٢٧/ ١٤٦) والشهاب الخفاجي : عناية القاضي (٦/ ٣٩٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للضيافة والإكرام، ولكن سرعان ما يتلاشى ذلك الوهم، وتخيب الظنون، فإذا بالنزل هذه المرّة يختلف عمّا ألفوه في الدنيا، إنّه اليوم من الحميم والزقّوم.

وهكذا تأتي الصورة المتهكمة لتؤدي غرضها في الدعوة إلى ا تعالى، ونبذ الإشراك به، من خلال التنبيه على مصير من أشرك مع ا تعالى، واعتصم والتجأ إلى غيره، كل ذلك بعبارة موجزة مهذّبة بليغة.

الموضع الثالث والعشرون : قوله تعالى: ((والباقيات الصالحات خير عند ربّك ثوابا وخير مردا))[١].

يوضّح الزمخشري – رحمه ا تعالى - صورة التهكم فيقول:" فإن قلت : كيف قيل (خير ثواباً) كأنّ لمفاخرتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرً منه ؟ قلت: كأنّه قيل : ثوابهم النّار على طريقة قولهم وقوله : تحيّة بينهم ضرب وجيع، ثمّ بنى عليه (خير ثوابا) وفيه ضرب من التهكم الذي هو أغيظ للمستهزئ"**[٢]**.

يعني : إنّ صفة التفضيل (خير) مشعرة بأنّ لمفاخرتهم فضلا، مع إنّه لا فضل لها البتة عند ا تعالى، فكان بالإمكان أن ينفي عنهم صفة الخيرية ويتم الكلام، لكن لمّا أراد التهكم والسخرية بهم، وتجريد فعلهم من أي خير، أخرج الكلام على هذا الوجه المخالف لمقتضى حالهم.

الموضع الرابع والعشرون: قوله تعالى: ((وأضل فرعون قومه وما هدى))[٣].

التهكم في هذه الآية وارد في حق فرعون، وذلك في قوله: ((وماهدى))[٤] فإنّه سبحانه لمّا نفى عنه الهداية أشعر بأنّه ممّن يتصوّر منه حصول الهداية في الجملة[5]، ولكن المراد : التهكم به في قوله : ((وما أهديكم إلاّ سبيل الرشاد))[٦]فهو كمن ادعى دعوى وبالغ فيها، فإذا حان وقتها ولم يأتِ بها قيل له : لم تأتِ بما ادعيت تهكما واستهزاء[٧].

الموضع الخامس والعشرون : قوله تعالى : ((أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم ...))[٨].

---

(١) سورة مريم : آية رقم (٧٦).

(٢) الزمخشري : الكشّاف (٤/ ٥٠).

(٣) سورة طه: آية رقم (٧٩).

(٤) ينظر : الزمخشري: الكشّاف : (٤/ ٩٩).

(٥) أبو السعود: إرشاد العقل السليم (٦/ ٣٢).

(٦) سورة غافر: آية رقم (٢٩).

(٧) الآلوسي : روح المعاني (١٦/ ٢٣٨).

(٨) سورة الأنبياء : آية (٢٤).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التهكّم في الآية : في إضافة البرهان إلى ضمير الكافرين، فإنّ هذه الإضافة مشعرة بأنّهم ممن لهم برهان، مع إنّه سبحانه يعلم أن لا برهان لهم البتة على صحّة ما يدّعون من الإشراك با ، ولكنه أراد التهكم بهم، وإقامة الحجة عليهم ؛ فأخرج الكلام في صورة من يطلب الدليل ليعلم صدق الحديث من كذبه[(١)].

الموضع السادس والعشرون: قوله تعالى: ((وإذا رأوك إن يتخذونك إلاّ هزوا أهذا الذي بعث ا رسولا))[(٢)].

الاستفهام في قولهم أهذا للإنكار[(٣)]، والإشارة للاستحقار[(٤)]،وظاهر الكلام يشعر بأنّ هؤلاء الكفرة يؤمنون بنبوّة محمد - صلى ا عليه وسلّم – ورسالة، وهم حقيقة في غاية التكذيب والإنكار، فالكلام على خلاف مقتضى الحال، ولذلك جاء التعبير بالموصول الذي هو صفته - صلى ا عليه وسلّم - والذي يشعر بأنّهم مسلّمون ببعثه رسولا، وإلاّ لقالوا : أبعث ا هذا رسولا ؟ أو أهذا الذي يزعم أنّه بعثه ا رسولا ؟[(٥)].

يقول الزمخشري – رحمه ا - : " إخراجه في معرض التسليم والإقرار وهم على غاية الجحود والإنكار، سخرية واستهزاء"[(٦)].

يعني إنّ إقرارهم بأنّه رسول ا ، ذكروه توطئة ؛ لإيقاع السخرية عليه، لا لأنّهم يقولون ما يطابق اعتقادهم، فهم مضطرون لذكره ؛ لأنّه محطّ الإنكار والسخرية عندهم، ولو لم يذكروه لما تحقق لهم ذلك[(٧)].

كما إنّ في الآية إشارة إلى أنّ هؤلاء يتكلمون وكأنّهم لا ينكرون إرسال ا الرسل، ولكنهم ينكرون صلاحيّة هذا الرسول لحمل رسالة ا تعالى إليهم، وكأنّه لا مانع لديهم من قبول هذه

---

(١) ينظر : أبو السعود: إرشاد العقل السليم (٦/ ٦٢) والآلوسي : روح المعاني (٣١/١٧).

(٢) سورة الفرقان : آية رقم (٤١).

(٣) ابن عاشور : التحرير والتنوير (١٩/ ٣٢).

(٤) أبو السعود: إرشاد العقل السليم (٢٢٠/٦).

(٥) نفس المرجع (٢٢٠/٦) بتصرّف.

(٦) الزمخشري: الكشّاف (٣/ ٩٣).

(٧) المطعني، عبد العظيم: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، ١٩٩٩م، (٥٨/٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرسالة والإيمان بها لو كان من يحملها ممّن يرونه أهلا لها[١]، والواقع يشهد على عكس ذلك، فهم لا إيمان لهم با ، ولا بما أنزل على نبيه - صلى ا عليه وسلّم - وقد بيّن ا تعالى ذلك في كتابه العزيز في غير آية كما قال: ((فإنّهم لا يكذّبونك ولكنّ الظالمين بآيات ا يجحدون))[٢]، فلم يبقَ إلاّ إنّ غرضهم التهكّم بالنبي ودينه، والتأكيد على جحودهم وعصيانهم.

الموضع السابع والعشرون: قوله تعالى: ((فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا))[٣].

اختلف أهل التفسير في معنى اللام في قوله تعالى (ليكون) على قولين: الأول: إنّها للصيرورة أو العاقبة، والمعنى : ليكون في عاقبة أمره عدواً وحزناً كما أراد ا به، ولكن امرأة فرعون قالت: ((قرة عين لي ولك)) فكان قول ا تعالى:((ليكون لهم عدوا وحزناً)) لما هو كائن في عاقبة أمره[٤]، وعلى هذا الوجه الكثير من المفسّرين، كالنحّاس[٥]،والواحدي[٦]، والبغوي[٧]، وابن الجوزي[٨]، والقرطبي[٩]، والسيوطي[١٠]، وأبو السعود قال: اللام لام العاقبة، أبرز مدخولها في معرض العلّة لالتقاطهم تشبيها له بالترتيب عليه بالغرض الحامل [١١].

والقول الثاني: إنّها للتعليل، والمعنى : أنّها جاءت على سبيل المجاز، وذلك لأنّ مقصود الشيء وغرضه يؤول إليه أمره ؛ فاستعملوا هذه اللام فيما يؤول إليه الشيء على سبيل التشبيه، كإطلاق لفظ الأسد على الشجاع والبليد على الحمار[١٢]؛ " لأنّه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن

---

(١) عبد الحليم حفني: التصوير الساخر (ص ٤٦).

(٢) سورة الانعام آية رقم (٣٣).

(٣) سورة القصص: آية (٨).

(٤) الطبري: جامع البيان (٢٠/ ٣٢).

(٥) النحّاس، أبو جعفر، ت٣٣٨هـ : معاني القرآن، ط١، تحقيق : محمد علي الصابوني، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة، ١٤٠٩هـ، (٥/ ١٥٨).

(٦) الواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٨١٣).

(٧) البغوي: معالم التنزيل (٣/ ٤٣٦).

(٨) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، ت ٥٩٧هـ : زاد المسير في التفسير، ط٣،المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ، (٦ / ٣٠٣).

(٩) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن : ١٣/ ٢٥٢).

(١٠) السيوطي : الإتقان في علوم القرآن (١/ ٤٩٨).

(١١) أبو السعود: إرشاد العقل السليم (٤/٧).

(١٢) الرازي: مفاتيح الغيب (٨/ ٥٨٠).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكون لهم عدوا وحزنا، ولكن المحبّة والتبني، غير إنّ ذلك لمّا كان نتيجة التقاطهم له وثمرته ؛ شبّه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله وهو الإكرام الذي هو نتيجة المجيء (جئتك لتكرمني)"[١].

وسواء أريد باللام الصيرورة، أم التعليل، فإنّ ظاهر النظم يدلّ - دون أدنى شكّ - على أن فرعون وقومه التقطوا هذا الغلام حتى يكون مصدرا للحزن والعداوة لهم، وفرعون بداهة لم يقصد هذا، و إنّما قصد أن يكون هذا الطفل مصدر سعادةٍ واطمئنان كما قالت زوجه: ((قرّة عين لي ولك))، فلا مناسبة بين ما قصده فرعون وقومه إلاّ أن ا تعالى أراد التهكّم بمقصدهم هذا[٢]، وقد يعترض على هذا بأنّ فرعون إنّما التقطه ليقتله ابتداء - لولا تدخّل زوجه -، ولم يلتقطه لتقرّبه عينه حتى يقال: إنّ في ذلك تهكما به، والجواب: أنّه عندما التقطه ليقتله، أراد بقتله أن تقرّ عينه، حيث يأمن خطره إذا ما كبر، فالمراد: توفير الأمن والسرور، ابتداء، أو بعد تدخّل امرأة فرعون، وفي ذلك كمال السخرية والاستهزاء بهم، فلا هم ولا غيرهم يستطيع أن يغيّر ما أراده ا تعالى، فقد كانوا خاطئين فيما توهّموه.

الموضع الثامن والعشرون : قوله تعالى: ((ادعوهم لآبائهم هو أقسَط عند ا))[٣].

التهكم في الآية في لفظ (أقسط) وذلك على اعتبار الشائع في أفعل، والمعنى : أعدل ممّا قالوه[٤]، فيكون جعله ذا عدل، مع إنّه لا عدل فيه أصلا، على سبيل التهكّم[٥]، إذ إنّ هذا الإطلاق، يوهم أنّ فعلهم في نسبة الأبناء إلى غير آبائهم ممّا يتصوّر فيه العدل، فجاء الكلام على خلاف مقتضى الحال ؛ للتنبيه على أحقّية نسبة الأبناء إلى آبائهم، ونفي العدل المتوهّم في(التبنّي) الذي كان متأصلا فيهم، فقد ورثوه عن آبائهم وأجدادهم، فاحتاج الأمر إلى مثل هذا الخطاب، الذي يثير انتباههم، ويحرّك فيهم نوازع الإيمان ؛ للامتثال ونبذ التقليد، وإلاّ فقد كان بالإمكان أن يكتفي القرآن بنهيهم عن هذا الأمر بصورة مباشرة.

---

(١) الزمخشري: الكشّاف (٤/ ٤٨٤).

(٢) ينظر : عبد الحليم حفني : التصوير الساخر (ص ١٢٩).

(٣) سورة الأحزاب: آية رقم (٥).

(٤) ينظر: الرازي: مختار الصحاح (١/ ٢٢٣) والجلالين، جلال الدين السيوطي، وجلال الدين المحلّي : تفسير الجلالين، ط١، دار الحديث، القاهرة، (١/ ٥٤٩).

(٥) ينظر: الآلوسي : روح المعاني (٢١/ ١٤٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأمّا إذا كان المراد من (أقسط) أعدل التفضيل، بقصد الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل، والمعنى : البالغ في الصدق[١]، فليس في الآية تهكّم.

الموضع التاسع والعشرون: قوله تعالى: ((وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزّقتم كل ممزّق إنكم لفي خلق جديد))[٢].

هذا الكلام مقول على لسان كفّار قريش، حيث قالوا ذلك مخاطبين بعضهم البعض، والرجل هو : النبيّ - صلى الله عليه وسلّم - ولكنّهم نكّروه ؛ لإرادة السخرية والتهكم به – عليه الصلاة والسلام –[٣]، كأنّهم لم يعرفوا منه إلاّ أنّه رجل، وهو عندهم – عليه الصلاة والسلام – أظهر من الشمس [٤]، وبالتالي فإنّ تعبيرهم هذا مخالف للحال التي هم عليها، إذ إنّهم قي قرارة أنفسهم يعلمون صدق النبي - عليه الصلاة والسلام – ويؤمنون بأنّه رسول، لكن جاهليتهم صدّتهم عن اتباعه والإيمان بشرعه.

كما إنّ نظم الآية يشعر بأنّ هؤلاء الكفرة يؤمنون بما يخبرهم به النبي من أمر البعث، وأنّهم حريصون على أن يبلّغوا ذلك لبعضهم، لكن لا ليعملوا بمقتضى ذلك، بل لإيقاع السخرية، والتأكيد على عدم الإيمان.

يقول الزمخشري - رحمه الله - :" فإن قلت : كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم - مشهوراً علماً في قريش، وكان إنباؤه بالبعث شائعاً عندهم، فما معنى قوله: (هل ندلكم على رجل) ؟ فنكّروه لهم، وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في أمر مجهول، قلت: كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية، فأخرجوه مخرج التحلي ببعض الأحاجي التي يتحاجى بها ؛ للضحك والتلهي، متجاهلين به وبأمره"[٥].

الموضع الثلاثون: قوله تعالى حكاية عن قوم سبأ: ((وبدّلناهم بجنّتيهم جنّتين ذواتي أُكُلٍ خَمْطٍ وأثْلٍ وشيء من سدرٍ قليل))[٦].

التهكم في الآية : في إطلاق لفظ الجنّتين على الخمط، والأثل، والسدر، وبيان ذلك، أنّ الخمط : هوكل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله، وقال الفرّاء : الخمط في التفسير :

---

(١) الآلوسي : روح المعاني (٢١/ ١٤٨).

(٢) سورة سبأ : آية رقم (٧).

(٣) ينظر: أبو السعود : إرشاد العقل السليم (١٢٢/٧).

(٤) الاآلوسي: روج المعاني (١٠٩/٢٢).

(٥) الزمخشري: الكشّاف (١٠٩/٥).

(٦) سورة سبأ :آية رقم (١٦).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شجر الأراك : وهو البرير، وقيل: شجر له شوك، وقيل: الخمط في الآية: شجر قاتل أو سمّ قاتل[١]، وعند البيضاوي : هو شجر بشع[٢].

وأما الأثل : فهو شجر شبيه بالطرفاء، إلاّ إنّه أعظم منه[٣]، ولا ثمر له[٤]، وقال ابن الأعرابي: هو شجر على صورة الخشخاش لا ينتفع به[٥].

وأما السدر: فهو شجر النبق، الواحد سدرة، والجمع سدرات[٦]، وقال الأزهري : السدر سدران : سدر لا ينتفع به ولا يصلح ورقه للغسول، وله ثمر عفصة لا تؤكل، وهو الذي يسمّى الضّال، وسدر ينبت على الماء، وثمره النبق، وورقه غسول يشبه شجر العنّاب، إلاّ أنّ العنّاب أحمر حلو،وثمر السدر أصفر مزّ يتفكه به[٧].

وبالتالي فإنّ لفظ الجنّة لا يطلق على مثل هذه الأشجار والثمار، إلاّ أنّ ا تعالى استعمل لفظ الجنّتين معها للمشاكلة و إرادة التهكم[٨] بهؤلاء العصاة الذين أعرضوا عن ا تعالى، وجحدوا نعمه، فعندما قال ا تعالى: (وبدّلناهم بجنتيهم جنّتين) يظنّ السامع لهذا الكلام أنّ ا تعالى أعطاهم مكان جنّتيهم ثمارا طيّبة، ونعما كثيرة متعدّدة الأصناف والأشكال، ممّا تشتهيه الأنفس وتلذّ به، فإذا بهذا البدل : الخمط، والأثل، والسدر، وهذا لا يتفق مع لفظ الجنّة، لكنّ ا تعالى لمّا أراد التهكم بهم وتوبيخهم على كفرهم وعصيانهم، وحملهم على شكر نعمه والمداومة على طاعته، أخرج الكلام على ضد مقتضى الحال

---

(١) ابن منظور : لسان العرب (٢٩٦/٧) مادة : خمط.،والازهري: معجم تهذيب اللغة(١/ ١٢١) مادة:أثل.

(٢) البيضاوي: أنوار التنزيل (٣٩٧/٤).

(٣) الأزهري: معجم تهذيب اللغة(١/ ١٢١) مادة: أثل)، و ابن منظور : لسان العرب (١٠/ ٦٥٦) والرازي : مختار الصحاح (٣/١).

(٤) الشوكاني : فتح القدير (٤ /٣٢١).

(٥) نقل عنه ذلك الآلوسي في: روح المعاني (٢٢/ ١٢٧)، وينظر : الأزهري: معجم تهذيب اللغة (١/ ١١٠٤) مادة : خمط

(٦) الرازي : مختار الصحاح (١٢٣/١) مادة : سدر.

(٧) الازهري : معجم تهذيب اللغة (٢/ ١٦٥٨) مادة: سدر.

(٨) ابن عاشور: التحرير والتنوير (٥/ ١١٦).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يقال: المراد بالسدر النوع الثاني، وهذا له ثمر طيّب وينتفع به، والجواب :إنّ هذا صحيح، إلاّ أنّ ا تعالى جعله قليلا فيما بدّلوا به،لأنّه لو كثر ؛ كان نعمة لا نقمة، وإنما أوتوه تذكيرا للنعم الزائلة ؛ لتكون حسرة عليهم(١).

الموضع الحادي والثلاثون: قوله تعالى : ((فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون))(٢).

في هذه الآية الكريمة، يخاطب إبراهيم - عليه السلام - الأصنام التي اتخذها قومه آلهة من دون ا تعالى، وكأنّ هذه الأصنام ممّن يتصّور منه السماع والاستماع، والقدرة على الأكل والنطق، مع إنّه - عليه السلام - يعلم أنّها لا تقدر على ذلك البتّة، ولكنه لمّا أراد التهكم بعبّادها وتوبيخهم على اتخاذهم هذه الحجارة - التي لا حول لها ولا قوّة - آلهة من دون ا تعالى، والتنبيه على سخافة عقولهم وسذاجة معتقدهم، أخرج الكلام على خلاف مقتضى الحال، فالكلام ههنا ليس مقصودا على حقيقته(٣).

الموضع الثاني والثلاثون: قوله تعالى: ((فاستفتهم ألربّك البنات ولهم البنون))(٤).

فاستفتهم: أيّ استخبرهم(٥)، والفتيا والفتوى : الجواب عمّا أشكل من الأحكام(٦)، وظاهر النظم يدلّ على أنّ ا تعالى يطلب من نبيّه - صلى ا عليه وسلّم - أن يستخبر مشركي مكّة في هذه القضيّة المهمّة، والاستخبار إنما يكون ممّن يجهل حقيقة الخبر، فيطلبه ممّن حضره و شهده وعلمه، وا تعالى يعلم أنّ كفار قريش لا علم لهم البتّة بالمسؤول عنه، ولا يخفى ذلك على نبيّه - صلى ا عليه وسلّم -، وليس خافيا عليه سبحانه علم المسؤول عنه، فلماذا جاء التعبير على هذا النسق؟ والجواب: أنّ ا تعالى أراد توبيخ الكفّار وتقريعهم على زعمهم أن

---

(١) الآلوسي : روح المعاني (٢٢/ ١٢٧).

(٢) سورة الصافات : آية رقم (٩١،٩٢).

(٣) ينظر:السيوطي(الإتقان (٢/ ٢١٦) والبغوي :معالم التنزيل (٤/ ٣١) والآلوسي: روح المعاني (٢٣/ ١٢٣).

(٤) نفس السورة : آية رقم (١٤٩).

(٥) الآلوسي : روح المعاني (٢٣/ ٧٥).

(٦) الراغب الأصفهاني : مفردات في غريب القرآن (ص ٣٧٣) مادة : فتى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملائكة بنات ا [١]، وما أجمل قول سيّد – رحمه ا تعالى – حيث يقول: " إذا كان الإناث أقل رتبة كما يدّعون، جعلوا لربّهم البنات واستأثروا هم بالبنين ؟! أو اختار ا البنات وترك لهم البنين ؟ إنّ هذا وذاك لا يستقيم ! فاستفتهم عن هذا الزعم المتهافت السقيم "[٢].

وهذا مثل قوله تعالى : ((وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون))[٣].ففي هذا تهكم لاذع بهم، إذ أخرجهم في صورة ممّن تصّح مشاهدته لمثل هذه الحوادث، وهذا أمر مستحيل عند جميع العقلاء، وهم لا يدّعون ذلك، فمن أين جاءوا بهذا الكلام ؟ فإنّ الإخبار عن مثل ذلك لا يكون إلاّ بالمشاهدة، وهم لم يشهدوا، ولا دلّ دليل على قولهم من سمع، ولا هو ممّا يدرك بالعقل ؛ حتى ينسبوا إدراكه إلى عقولهم [٤]، ولم يضطرهم ا تعالى إلى علم ذلك، فلم يبق إلاّ أن يشاهدوا خلقهم فاخبروا عن هذه المشاهدة [٥].

وفي ذلك ما فيه من تجهيلهم والتهكم بهم[٦]، إذ كان يمكن أن يكتفي القرآن بتكذيبهم وبيان جهلهم، ولكن لمّا قصد التهكم بهم صوّر مشاهدتهم لخلق الملائكة، أنّ شهادتهم ستكتب وكأنّها حقيقة[٧].

الموضع الثالث والثلاثون: قوله تعالى: ((وا يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ...))[٨].

قوله تعالى : ((لا يقضون بشيء)) تهكم بآلهة الكفّار المزعومة، فمن المقرّر الذي لا يجهله أحد أنّ الجمادات لا تقدر على مثل ذلك، لكن ا تعالى أخرجها في صورة ممّن يتصوّر منه ذلك، ثمّ نفاه لإثارة التهكم والاستهزاء ؛ لأنّ الجماد لا يقال في حقّه يقضي أو لا يقضي[٩].

(١) ينظر: النّحاس: معاني القرآن (٦/ ٦٤) والثعالبي: الجواهر الحسان (٤/ ٢٧) والشوكاني : فتح القدير (٤/ ٤١٣)

(٢) سيّد قطب : تفسير الظلال (م٧/ ٧١).

(٣) سورة الزخرف : آية رقم (١٩).

(٤) الشوكاني : فتح القدير (٤/ ٤١٣).

(٥) الزمخشري : الكشّاف (٥/ ٤٣٤).

(٦) الآلوسي : روح المعاني (٢٥/ ٧٢).

(٧) عبد الحليم حفني : التصوير الساخر (ص ٤٠٥).

(٨) سورة غافر: آية رقم (٢٠).

(٩) أبو السعود : إرشاد العقل السليم (٧/ ٢٧٢) والبيضاوي : أنوار التنزيل (٥/ ٨٩) والآلوسي : روح المعاني (٢٤/ ٦٠).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضع الرابع والثلاثون : قوله تعلى: ((ذق إنّك أنت العزيز الكريم))[١].

المخاطب بهذه الآية هو أبو جهل، فقد ورد في سبب النزول : أنّ أبا جهل قال: أيتوعدني محمد، وا لأنا أعزّ مَن بين جبليها[٢].

وفي رواية أخرى : أنّ النّبي - صلى ا عليه وسلم - لقي أبا جهل فقال : إنّ ا أمرني أن أقول لك : أولى لك فأولى، ثمّ أولى لك فأولى، قال: فنزع ثوبه من يده فقال: ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء، لقد علمت أنّي أمنع أهل بطحاء، وأنا العزيز الكريم، فقتله ا يوم بدر، وأذلّه، وعيّره بكلمته، ونزل فيه ذق إنّك أنت العزيز الكريم[٣].

فالخطاب موجّه لرأس الكفر والطغيان، وسياق الآيات التي قبلها كلّه يتحدث عن العذاب، حيث يقول ا تعالى : ((خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم، ثمّ صبّوا فوق رأسه من عذاب الحميم))(٤) والسامع يفهم منه أنّ كل ما سيأتي فيما يتلّق بهذا الزعيم، لا بدّ وأن يكون عذابا وإذلالا، قياسا على ما سبق ولكنه يفجأ بأنّ الأسلوب يأخذ مجرى النقيض من السياق السابق، وهذا التعبير يتضمن في ظاهره رفقا وتكريما من ناحيتين : الأولى: لفظة (ذق) ففيه رقّة ولطف، حيث إنّه يستعمل في اختيار طعم الأشياء ذات الطعم.

الثانية: أسلوب التأكيد والقصر، فقد أكد نسبة العزة والكرامة إلى هذا الزعيم بلفظ (إنّ)، وأفاد تقديم المسند إليه (أنت) القصر،والمعنى : أنت العزيز الكريم وحدك دون غيرك[٥]، وهذا أمر ملفت للنظر ويدعو إلى التوقف والتأمل، إذ كيف يصفه ا تعالى بالعزة والكرامة وهو في وسط الجحيم، يصب على رأسه - أشرف شيء فيه - الحميم، فهو في أقصى درجات الذلّة والهوان، ولا يستقيم هذا الذل مع وصفه العزّة والكرامة ؛ إذ إنّهما متناقضان، فدلّ ذلك على أنّ الكلام ليس مرادا على حقيقته، وإنّما هو ضرب من التهكم الموجع، استخدمت فيه ألفاظ الإجلال في موضع التحقير والإهانة ؛ لتوبيخ هذا الطاغية وتقريعه على ما كان يدعيه في الدنيا من العزة والكرامة على قومه[٦].

---

(١) سورة الدخان : آية رقم (٤٩).

(٢) الواحدي : أسباب النزول (ص٢٠٨).

(٣) المرجع نفسه (ص ٢٦٨).

(٤) سورة الدخان : آية رقم (٤٧، ٤٨).

(٥) ينظر: عبد الحليم حفني : التصوير الساخر (ص٢٢٣ـ ٢٢٤) بتصرّف.

(٦) ينظر : الزمخشري: الكشّاف (٤٧٧/٥) وابن كثير : (٤/ ١٤٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا فضلا عمّا يحمله لفظ الذوق من التهديد والوعيد، إذ أنّ الذوق هو من مقدمات الأكل، وفي ذلك إيحاء إلى أنّ له وراء ذلك من العذاب ما لا يوصف.

والذوق هو قوّة منبعثة في العصب المفروش على جرم اللسان تدرك بها[١]، ولكنّه استعير هنا للإدراك[٢]، للدلالة على شدّة مقاساته للعذاب، حتى لكأنّه يذوقه بلسانه كما يذوق أيّ طعام، كما أن الذوق لا يكون إلاّ لمطعوم يساغ، فأي مطعوم هي جهنّم ؟!.

الموضع الخامس والثلاثون: قوله تعالى ((وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات ما كان حجّتهم إلاّ أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين))[٣].

التهكّم في هذه الآية في قوله تعالى : ((ما كان حجّتهم)) وبيان ذلك : أنّ هؤلاء الكفّار طلبوا من الأنبياء أن يأتوا بآبائهم ؛ ليكون دليلا على أنّهم يبعثون بعد الموت، وهذا القول الباطل يستحيل أن يكون من قبيل الحجّة، فتسميته حجّة ؛ لسوقهم إيّاه مساق الحجّة على سبيل التهكّم بهم، أي من كانت حجّته هذه فليس لهم ألبتّة حجّة[٤]، فكان من الممكن أنْ يكتفي القرآن بتكذيبهم، ولكنه أخرج الكلام في هذه الصورة، فساق كلامهم مساق الحجّة، للتنبيه على سخافة مطلبهم ومدّعاهم،وأنّه لا ينهض للاحتجاج به، ثمّ إنّه تعالى أراهم الكثير من الآيات الدالّة على البعث ومع ذلك لم يؤمنوا، فكيف علّقوا إيمانهم بالبعث على هذه القضية، وا يعلم إنّهم لكاذبون.

الموضع السادس والثلاثون : قوله تعالى: ((أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون))[٥].

التهكّم في الآية : في نسبة الأحلام إلى ضمير الكافرين، وبيان ذلك أنّ الأحلام والحلوم: جمع حلم بالكسر: وهو الأناة والعقل[٦]، فالمراد بالأحلام: العقول[٧]، والعقول الراجحة لا تأمر بمثل ما قالوه، وفي ذلك إشارة إلى أنّ هؤلاء قد أضاعوا أحلامهم، فهم كمن لا أحلام لهم، فظاهر الآية أن هؤلاء لهم أحلام وعقول من شأنها أن تدل أصحابها على الخير والفلاح، فلمّا

---

(١) المناوي، محمد عبد الرؤوف : : التوقيف على مهمّات التعاريف (٣٥١/١) فصل (و) وانظر : القرطبي : الجامع لحكام القرآن (٦/ ٣١٧).

(٢) الشهاب الخفاجي : عناية القاضي (٨/ ٤٣٦).

(٣) سورة الجاثية : آية رقم (٢٥).

(٤) ينظر : الزمخشري :الكشّاف (٥/ ٤٨٨) وأبو السعود : إرشاد العقل السليم (٧٤/٨) والرازي : مفاتيح الغيب (٦٧٩/٩).

(٥) سورة الطور: آية رقم (٣٢).

(٦) ابن منظور: لسان العرب (١٢/ ١٤٦) مادة: حلم.

(٧) البيضاوي: أنوار التنزيل (٥/ ٢٤٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دلّتهم هذه الأحلام على ما قالوه، فبئست الأحلام هذه، قال البغوي:" كانت عظماء قريش توصف بالأحلام والعقول، فأزرى ا بعقولهم حين لم تتبيّن الحق من الباطل"(١).

وأمّا نسبة الأمر إلى الأحلام فمجاز عن التأدية بعلاقة السببيّة(٢).

الموضع السابع والثلاثون والخاتم لهذا الفصل: قوله تعالى: ((وجوه يومئذ خاشعة))(٣).

هذه الآية الكريمة ترسم صورة عظيمة من التحسّر والتندّم و خيبة الأمل التي تلحق الكافرين يوم القيامة، إلى جانب الإذعان والتسليم المطلق تعالى،وذلك بعد ما عاينوا من آيات ا العظيمة،والتي كان يخبرهم بها محمد - صلى ا عليه وسلّم - في الحياة الدنيا، وقد كانوا في غاية التكذيب والإنكار لها، فهم اليوم في غاية الذلّة والهوان، ولكن ا تعالى يبيّن أنّهم خاشعون في هذا اليوم، مع أنّه لات حين خشوع، فقد انتقلوا من دار العمل إلى دار الجزاء والحساب، فلا فائدة من هذا الخشوع في هذا اليوم، لكنّ ا تعالى أراد التهكّم بهم ؛ وتوبيخهم على تفريطهم وعصيانهم، وبيان أنّهم لم يكونوا من أهل الخشية والخشوع تعالى في الحياة الدنيا، يقول الآلوسي – رحمه ا – في تفسير هذه الآية :" أي : ذليلة، ولم توصف بالذلّ ابتداء لما في وصفها من الخشوع من الإشارة إلى التهكم، وأنها لم تخشع في وقت ينفع فيه الخشوع"(٤).

فالخشوع ههنا مستعار للذلّة ؛ لإرادة التهكم،ولا يخفى ما في هذه الآية من الحث على المسارعة في التوبة والإنابة إلى ا تعالى من قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه عمل.

وصلى ا على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد ربّ العالمين.

---

(١) البغوي: معالم التنزيل (٤/ ٢٤١).

(٢) الشهاب الخفاجي: عناية القاضي (٨/ ٦١٤).

(٣) سورة الغاشية : آية رقم (٢).

(٤) الآلوسي : روح المعاني (١١٢/٣٠).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

الحمد   أولا وآخِرا، والصلاة والسلام على نبيّ الهدى، ورسول البشريّة جمعاء، المعلّم القدوة، سيّدنا محمد، وعلى آله وصحبة والتابعين لهم بإحسان، وبعد:

فبعد هذا الجهد المتواضع، في هذا البحث الموسوم بـ (التهكّم في القرآن الكريم، دراسة تحليلية بيانيّة) الذي يأتي خدمة لكتاب ا تعالى أولا، ولنفسي وللدارسين ثانيا، والذي تناول أسلوب التهكّم من جوانبه المتعدّدة : اللغوية، والاصطلاحية، والبلاغية، والأدبية، والتفسيرية، والحديثيّة، والقرآنية، خلصت إلى النتائج التالية :

أولا : أنّ التهكّم مصطلح واسع الدِلالات، وأسلوب يصدق على كلّ كلام أُخرج على ضدّ مقتضى الحال ؛ لغرض السخرية والاستهزاء.

ثانيا :أنّ هذا الأسلوب فن بلاغي بحت ؛ لقيامه على الاستعارة، أو تأدية وظيفة من وظائفها

ثالثا : أنّ للتهكّم أثرا كبيرا في النّقد والإصلاح، وحلّ المشاكل والأزمات الاجتماعية، وتنمية المواهب الفكرية والأدبية.

رابعا : أنّ التهكّم قد أخذ بقسط وافر من الآيات القرآنيّة، وأنّ له أسبابه، وأغراضه، وآثاره البلاغيّة الهادفة – بمجموعها - إلى إصلاح شؤون الخَلْق في معاشهم ومعادهم.

خامسا : أنّ التهكّم قد تناول قضايا عقائديّة مفصلية وهامّة : كالوحدانية، والربوبية والألوهية،والنبوّة والرسالة، والبعث والجزاء، والكفر، والشرك، والنفاق، والطاعة   ورسوله ...وغيرها، وأخرى شرعية وأخلاقية : مثل اكتناز المال، والصلاة، والتبني، والكِبر، وجحود النعم، والإجرام ... ممّا يدلّ على أهميته في الدعوة،والمحاجّة والإقناع ؛ لقيامه على الدليل والبرهان.

سادسا : أنّ التهكّم في القرآن خطاب عالمي وعام.

سابعا وأخيرا : أن هذا الموضوع لا يزال يفتقر إلى الدراسات المتخصصة ؛ لإبراز قيمه ومضامينه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التوصيات

أوصي – إن كان يحق لي أن أوصي - بأن يكون هناك توجّه حثيث في الدراسات العليا– في الرسائل - ؛ لدراسة القضايا البلاغيّة في القرآن الكريم ؛ لما لهذا الجانب من أثر بالغ في فهم الخطاب القرآني، ودعوة النّاس إليه.

وفي الختام، أرجو ا تعالى أن يكون هذا العمل المتواضع خالصا لوجه الكريم، وأن يكتب له القبول في الدنيا والآخرة، وأن يرزقنا حسن الختام، والموت على الإسلام.

وصلى ا وسلّم وبارك على سيّدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد ربّ العالمين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

الإيجي، محمد بن عبد الرحمن، ت ٩٠٥هـ، **جامع البيان في تفسير القرآن**، ط١،تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م.

ابن الأثير، المبارك بن محمد، ت ٦٠٦هـ، **النهاية في غريب الحديث و الأثر**، ٥ أجزاء، مراجعة طاهر الزاوي،، ومحمد الطباخي، بيروت، ١٩٧٩م.

الأزهري، أبو منصور، ت ٣٧٠هـ، **معجم تهذيب اللغة**،ط٤،١م، تحقيق رياض زكي قاسم، دار لمعرفة بيروت، ١٤٢٢هـ.

الآلوسي، محمود أبو الفضل، ت ١٢٧٠هـ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ٣٠ جزء، دار إحياء التراث بيروت.

البحيري، أسامة، **تحولات البنية في البلاغة العربية**، ٢٠٠٠م، ط١، دار الحضارة.

البخاري، محمد بن إسماعيل، ت ٢٥٦هـ، **صحيح البخاري**، ٦م، مراجعة مصطفى البغا، دار ابن كثير، اليمامة بيروت، ١٤٠٧ هـ.

البدري، علي، **علم البيان في الدراسات البلاغية**، ١٩٨٤م، ط٢.

د. برّي، حوّاس، **المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير**، ٢٠٠٢م، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس، الأردن.

بسيوني، مصطفى،**ملامح التجديد في النثر الأندلسي**، ١٩٨٥م، ط١، عالم الكتب.

البغوي، الحسين بن مسعود، ت ٥١٦ هـ، **معالم التنزيل**، ط٢، ٤م، تحقيق خالد العكّ، ومروان سوار، دار المعرفة بيروت، ١٩٨٧م.

البيضاوي، عبد ا بن عمر ت٧٩١هـ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ٥أجزاء، تحقيق عبد القادر حسونة، ١٩٩٦م.

التونسي، أحمد مصطفى، ت ١١٦٧هـ، **جامع العبارات في تحقيق الاستعارات**،ط١، تحقيق محمد رمضان،، الدار الجماهيرية، ١٩٨٦م.

التونجي، محمد، **المعجم المفصل في الأدب**، ١٩٩٣م، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد، ت ٨٧٦هـ، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي بيروت.

الجرجاني، عبد القاهر، ت٤٧١، **أسرار البلاغة**، ط١، ١م، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

الجرجاني، علي بن محمد، ت ٨١٦هـ، **التعريفات**،ط١، ١م، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيرةت، ١٤٠٥هـ.

الجاحظ، عمرو بن بحر، ت٢٥٥، **كتاب الحيوان**، ط١، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي بمصر، ١٣٥٦هـ.

الجاحظ، **رسالة التربيع والتدوير**، المعهد الفرنسي بدمشق، عني بنشره شارل بلاّت، ١٩٥٥م

الجاحظ، **البخلاء**، تحقيق طه الحاجري، دار المعارف، ١٩٦٣ م

الجمل، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي، ت ١٢٠٤ هـ، **الفتوحات الإلهية بتوضيح الجلالين للدقائق الخفّية**، ط١، ٨م، ضبط إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م

جمد، حسن، **شرح ديوان دعبل**، ١٤١٤هـ، ط١، ١م، دار الكتاب العربي.

ابن جنّي، عثمان، ت ٣٩٢هـ، **المحتسب في وجوه شواذ القرءات والإيضاح عنها**، ٢م، تحقيق علي النجدي ناصف، ود. عبد الحليم النجار، ود. عبد الفتاح شلبي، ١٣٨٦هـ.

ابن الجوزي، عبد الرحمن، ت ٥٩٧ هـ، **زاد المسير في علم التفسير**، ط٣، ٩م، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، ت ٨٥٢هـ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ١٣م، مراجعة محمد فؤاد، و محب الدين الخطيب، دار المعرفة بيروت، ١٣٧٩هـ.

ابن حجر، **لسان الميزان**، ٧أجزاء، مؤسسة الأعلمي بيروت.

ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، ٤أجزاء، دار الفكر، بيروت.

الحموي، ابن حجّة، علي بن عبد ا ، ت ٨٣٧هـ، **خزانة الأدب**، ط١، ٥م، تحقيق الدكتورة كوكب دياب، دار صادر بيروت، ٢٠٠١م.

حسين، عبد القادر، **فن البديع**، ١٩٨٣م، ط١، كلية البنات الإسلامية،دار الشروق

الحلبي، علي برهان الدين،ت ١٠٤٤هـ، **السيرة الحلبية**، ٣م، دار المعرفة بيروت، ١٤٠٠هـ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحوفي، أحمد، **الفكاهة في الأدب، أصولها وفروعها**، ٢٠٠١م.

أبو حيّان، أثير الدين، ت ٧٤٥هـ، **البحر المحيط**، ١١م، مراجعة صدقي جميل، وعناية عرفات حسونه.

حفني،عبد الحليم، **أسلوب السخرية في القرآن الكريم**، ١٩٩٨٧م، الهيئة المصرية للكتاب.

حفني، التصوير الساخر، ١٩٩٢م، الهيئة المصرية للكتاب.

خان، صدّيق حسن،ت ١٣٠٧هـ، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، نشر عبد المحيي محفوظ، مطبعة العاصمة، القاهرة.

الدسوقي، محمد بن عرفة، ت ١٢٣٠هـ، **حاشية على مختصر التفتازاني شرح تلخيص المفتاح للقزويني**، تحقيق د. خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م.

الرازي، محمد بن أبي بكر ت ٧٢١هـ،**مختار الصحاح**، ط جديدة، ١م، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، ناشرون بيروت، ١٩٩٥م.

الرازي، محمد بن عمر، ت٦٠٦، **مفاتيح الغيب**، ط٢، ١١م، دار إحياء التراث بيروت، ١٩٩٧م.

الرعيني، شهاب الدين، ت٧٧٩هـ، **طراز الحلة وشفاء الغلّة**، ١م، تحقيق الدكتور رجاء السيد الجوهري، مؤسسة الثقافة الجامعية.

الراغب الأصفهاني، الحسن بن محمد، ت ٥٠٢هـ، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، ط١، تحقيق عمر الطباع، دار الأرقم، ١٤٢٠هـ.

الراغب، **مفردات في غريب القرآن**، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار لمعرفة بيروت.

الرافعي، مصطفى صادق، ت١٣٥٦هـ، **تاريخ آداب العرب**، ط٢، دار الكتاب العربي، ١٩٧٤م.

الرافعي، **ديوان الرافعي**، تحقيق الدكتور ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ.

الرمّاني، علي بن عيسى، ت ٣٨٦هـ، **النكت في إعجاز القرآن الكريم**، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ط٢،تحقيق محمد خلف ا ، ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، ١٩٦٨م.

ابن الرومي، ديوان ابن الرومي، **تحقيق عبد الأمير مهنا**، دار الهلال.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الزركشي، بدر الدين، ت ٧٩٤هـ، **البرهان في علوم القرآن**، ٤م، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف بيروت، ١٣٩١ هـ.

زكريا إبراهيم، **سيكولوجية الفكاهة والضحك**، مكتبة مصر، دار مصر.

الزمخشري، محمد بن عمر، ت ٥٣٨هـ، **أساس البلاغة**، مكتبة لبنان، ناشرون، ١٩٩٦م

الزمخشري،**الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط١، ٦م، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي معوّض، مكتبة العبيكان، ١٤١٤هـ.

أبو السعود، محمد بن محمد، ت ٩٥١، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ٩م، دار إحياء التراث العربي بيروت.

السكّاكي، يوسف بن بكر، ت٦٢٦هـ، **مفتاح العلوم**، ط١، ١م، ضبط نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ١٤٠٣هـ.

سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ط٣، ٨ م، دار إحياء التراث، بيروت.

السيوطي جلال الدين، ت٩١١، **الإتقان في علوم القرآن**، ط١، ٢م، تخريج محمد أبو صعيليك، دار الجليل بيروت، ١٤١٩هـ.

السيوطي،**الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ٨ أجزاء، دار الفكر بيروت، ١٩٩٣م.

السيوطي،**شرح عقود الجمان وبهامشه** شرح الشيخ أحمد الدمنهوري، دار إحياء الكتب العلمية

السيوطي، جلال الدين، والمحلي، جلال الدين، **تفسير الجلالين**، ط١، دار الحديث القاهرة

شاكر عبد الحميد، **الفكاهة والضحك** "رؤية جديدة " ٢٠٠٣م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة.

ابن شاكر، محمد، ت٦٦٤هـ، **فوات الوفيات**، تحقيق إحسان عباس، دار تصادر.

الشريف الرضي، **تلخيص البيان في مجازات القرآن**، ط١، تحقيق محمد عبد الغني حسين، دار إحياء التراث.

الشهاب الخفاجي، ت ١٠٦٩هـ، **عناية القاضي ودراية الراضي**، ط١، ٩م، تخريج عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلميم، ١٩٩٧م.

الشوكاني، محمد بن علي، ت ١٢٥٠هـ، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، ٥ أجزاء، دار الفكر بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شرف، عبد العزيز، **الأدب الفكاهي**، ١٩٩٢م، ط١، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية.

ابن أبي شيبة، عبد ا بن محمد، ت ٢٣٥هـ، **مصنف ابن أبي شيبة**،ط١، ٧أجزاء، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشيد، الرياض، ١٤٠٩هـ.

الشيباني،أحمد بن حنبل، ت ٢٤١هـ، **مسند أحمد**، ٧ أجزاء، مؤسسة قرطبة مصر.

الصاحب إسماعيل بن عبّاد، ت ٣٨٥هـ، **المحيط في اللغة**، تحقيق محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، ١٤١٤هـ.

الصغير، محمد حسين، **مجاز القرآن، خصائصه الفنية والبلاغية**، ١٩٩٩م، ط١، دار المؤرخ العربي بيروت.

الطبري، محمد بن جرير، ت٣١٠ هـ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ٣٠ جزء، دار الفكر، ١٤٠٥ هـ.

طنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط**، ١٤٠٦هـ، ط٢.

ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، ١٩٨٤م، الدار التونسية.

ابن عبد ربّه، **العقد الفريد**، شرح وعناية : أحمد أمين، إبراهيم الأبياري، عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي بيروت، ١٩٨٣م.

عبد الستار، حسيب، **منهل البلاغة**،(معان، بيان، بديع، عروض) ١٩٧١م، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

عودة،عبد الخالق، ٢٠٠٣ م، **السخرية في الشعر العباسي**، رسالة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان الأردن.

علاّن، إبراهيم، **البديع في القرآن الكريم**، أنواعه ووظائفه، ٢٠٠٢م، ط١، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة.

العوا،عادل، **مواكب التهكم**، ١٩٩٥م، دار الفاضل دمشق.

ابن عطية الأندلسي، ت ٥٤٦هـ، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق المجلس العلمي بفاس، ١٤٠٠هـ.

عيد، يوسف، **شرح ديوان جرير**، ط١، دار الجليل بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبو العدوس، يوسف، **البلاغة ١٠العربية**، ٢٠٠٤م.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، ت ١٧٥هـ، **متاب العين**، ط جديدة، ١م، دار إحياء التراث العربي، لبنان.

الفرّاء، يحي أبو زكريا، ت ٢٠٧هـ، **معاني القرآن**، ط١، عالم الكتب، ١٩٥٥م، ط٢، ١٩٨٠م.

فيّود، بسيوني، **علم البديع دراسة تاريخية فنّيةلأصول البلاغة ومسائل البديع**، ١٩٩٨م، مؤسسة المختار، دار المعالم الثقافية.

فاعور، منيرة، ١٤٢٠ م، **البحث البلاغي عند العلوي**، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة دمشق.

القاسمي، جمال الدين، ت ١٣٢٢هـ، **محاسن التأويل**، ط١، ٧م، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة التاريخ العربي بيروت، ١٩٩٤م.

ابن قتيبة، عبد ا بن مسلم، ت ٢٧٦هـ، **عيون الأخبار**، ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م.

القرطبي، أبو عبد ا ، محمد بن أحمد، ت ٦٧١هـ، **الجامع لأحكام القرآن**، ط٢، ٢٠ جزء، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ.

القزويني، الخطيب جلال الدين، ت ٧٣٩هـ، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي، ود. عبد العزيز شرف، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني ١٩٩٩م.

قزيحة، رياض، **الفكاهة في الأدب الأندلسي**، ١٩٩٨م، ط١، المكتبة العصرية.

قزيحة،**الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرقي من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر العباسي**، ١٩٩٨م، ط١، المكتبة العصرية.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، ت ٧٧٤هـ، **تفسير القرآن العظيم**، ٤ أجزاء، دار الفكر بيروت، ١٤٠١هـ.

لاشين،عبد الفتاح، **البيان في ضوء أساليب القرآن**، ١٩٥٨، ط٢، دار المعارف.

موسى،أحمد، **الصبغ البديعي في اللغة العربية**، ١٩٦٩م، دار الكتاب العربي.

مطلوب، أحمد، **معجم مصطلحات النقد العربي القديم**، ٢٠٠١م،ناشرون مكتبة لبنان.

مطلوب، **فنون بلاغية**، ١٩٧٥م، ط١، دار البحوث العلمية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مطلوب، **معجم المصطلحات البلاغية**، ٣م، المجمع العلمي العراقي.

محمود مصطفى، **الإعجاز اللغوي في القصّة القرآنية**، ١٩٨١م، ط١، مؤسسة شباب الجامعة.

المدني، ابن معصوم، ت ١١٢٠هـ، **أنوار الربيع في أنواع البديع**، ٧م، تحقيق شاكر هادي

المصري، زكيّ الدين ابن أبي الإصبع، ت ٦٥٤هـ، **بديع القرآن**، ١م، تحقيق حفني محمد شرف، نهضة مصر.

المصري، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، تحقيق حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، **المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية**، دار إحياء التراث اللإسلامي، ١٣٨٣هـ.

المطعني، عبد العظيم، **التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم**، ١٩٩٩م.

المعرّي، أبو العلاء، **رسالة الغفران**، دار صادر بيروت، ١٤٨٠هـ.

ابن منظور، محمد بن مكرم، ت ٧١١هـ، **لسان العرب**،ط١، ١٥ جزء، دار صادر بيروت.

المناوي، محمد عبد الرؤوف، ت ١٠٣١هـ، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، ط١، ١٩٩٤م، دار الكتب العلمية.

المناوي، **التوقيف على مهمّات التعاريف**، ط١، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر بيروت، دمشق، ١٤١٠هـ.

ابن المنيّر، أحمد بن محمد، ت ٦٨٣هـ، **الانتصاف فيما تضمنه الكشّاف من الاعتزال**، حاشية على تفسير الكشاف للزمخشري، نفس النسخة التي سبق ذكرها.

أبو موسى، محمد، **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية**، ١٤٠٨هـ، ط٢، مكتبة وهبة، دار التضامن.

ابن الناظم، بدر الدين بن مالك، ت ٦٨٦هـ، **المصباح في المعاني والبيان والبديع**، ط١، ١م، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

النحّاس، أبو جعفر، ت٣٣٨هـ، **معاني القرآن**، ط١، تحقيق محمد علي الصابوني، جامعة أمّ القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ.

النسفي، عبد ا   أبو البركات، ت ٧٠١هـ، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ٤ أجزاء.

النكلاوي، فريد، البيان عند الشهاب الخفاجي، القسم الأول (التشبيه) ١٩٨١م، مطبعة الأمانة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النكلاوي، **البيان عند الشهاب الخفاجي**، القسم الثاني (المجاز) ١٩٨٤م.

النويري، شهاب الدين، ت٧٣٢هـ، **نهاية الإرب في فنون الأدب**، مطابع وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامّة.

النيسابوري، نظام الدين، ت ٧٢٨هـ، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ط١، ضبط وتخريج زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م.

الهاشمي أحمد، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ١٩٩٩م، تحقيق وشرح محمد التّونْجيّ، ط١، مؤسسة المعارف بيروت.

ابن هشام، ت ٧٦١ هـ، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ٢م، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، ١٤٢٢هـ.

الهوال حامد عبده، **السخرية في أدب المازني**، ١٩٨٢م، الهيئة المصرية العامّة.

الواحدي، علي بن أحمد، ت ٤٦٨ه، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط١، ٢ جزء، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم الدار الشامية، دمشق بيروت ١٤١٥هـ.

الواحدي، **أسباب النزول**، ط١، عناية وليد الزكري، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٢١هـ.

اليافي، عبد الكريم، **دراسات في الأدب العربي**، ١٩٦٣م، ط١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Scorn in the Quran Kareem

Analytical / descriptive study

by

Ahmad Diab Ahmad Hussein Ananzeh

Supervisor

Dr. Mustafa Ibrahim AL-Mashni

ABSTRACT

This study discussed a style of speech and addressing styles of the Holy Quran, Which is the scorn style, in regard to language regard to language reasoning : articulation and t terminology evolution and critical and literature utility In addition to reveal the taste of interrupters and some contemporary individuals who desk with his art.

The study has taken into consideration the verses (Ayat) which have been revealed with his style, This has been completed in two facts: First : Cite most of the ayat - that decartelize with this, orientation ; hen determining the reasons, features, aliments and characteristics of this art and to show its ratiocinative impact .

Second ;"I-he revealing of the scorn style which appeared in most of the verses .

The study has concluded that is " the Concept of scorn has a broad reasoning and several goals and a great importance : Calling to faith, literature, retaliation and esthete aspects .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit